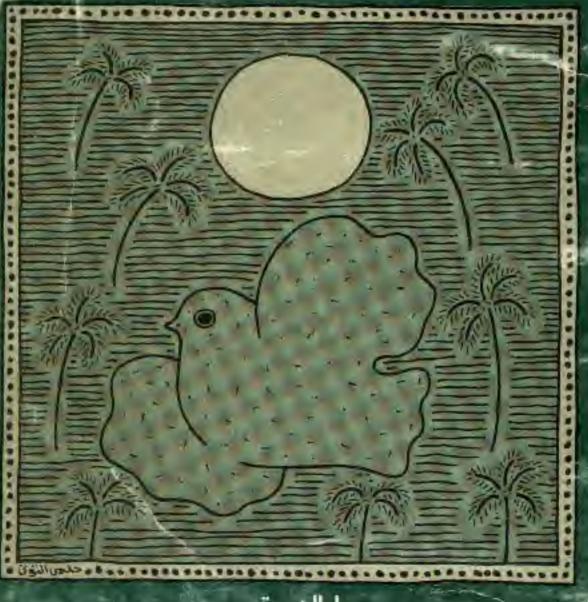
انسيس منصور

طلع البدر عليا



دار الشروة

أنيس فنصور

طلع البدرعلينا

:: سعر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3

الضبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م الطبعة المثنائية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م

مستع جشقوق اعلته محتقوظة

دارالشروق___

دار الشروقـــ

أسيام في الأراضي المقدسة

أريد .. ولكنى لا أستطيع !!

الآن فقط عدرت كل الدين انفتحت لهم ، طاقة القدر ، وأتيحت لهم فرصة العمر أن يطلبوا من الله شيئا ، ولكن الصدمة الباهرة أفقدتهم القدرة على النطق ، أو القدرة على أن يرغبوا في شيء ، وأغلقت أمامهم ، وفي وجوههم ، ودونهم طاقة القدر . وأظلم كل شيء ، ولم يتحقق لهم شيء . الأنهم لم يطلبوا شيئا

وعدرت الذين كسبوا المليون جنيه . تم ماتوا من شدة الفرحة ، كأنهم حسروها لاكسبوها

إنها ـ إذن ـ المفاجأة التي لاتقوى مشاعرنا على مواجهتها . أو الوقوف أمامها ، أو الصمود الوجداني لها .

إنبى أحاول أن أصف شعورى ، وقد نهيأت للحج . وأحرمت ، وتعريت ، وتجردت ، وأحسست ببرودة النهار والليل ، وخفت من كل أمراض الدنيا ، وأعددت لها كل ما اخترعه الطب الحديث ، وعلم النفس القديم .

وأقمت من نفسي درعا من لحم ودم ، ودرعا آخر ص الإرادة واللاإرادة حتى لا أنهار جسميا ومعويا

اتنی کالذی یوید أن یقفز قناة واسعة عمیقة - ولدلك بیاول أن يتراجع إلى الوراء قبل أن ينطلق فوقها

إننى أحاول أن أرجع إلى سنوات مضت عندما ذهبت إلى القدس ووقفت أمام حائط المبكى ألعن الذين أقاموه والدين عبدوه وأحسست أن هذا الذي أراه يحسدنى عليه ملايبي اليهود في العالم!!

وتمنیت لو آن قلومهم ظلت موجوعة متمزقة علی هذا الذی رأیت ولم یروه ..

ولکن الحائط وتاریخه . ودموع المؤمنین به لم بهزنبی قدما . ولاساقا .

وقبل ذلك ، رأيت ، ومشيت في الطريق الذي سار فيه المسيح عليه السلام . طريق الآلام . يحمل صليه وبتهاوى تحته . ورأيت الحجل الذي ألى فيه موعظته الأخبرة ، ورأيت الحديقة الني تناول فيها المسيح عشاءه الأخبرة ، ورأيت الحديقة الني تناول فيها المسيح عشاءه الأخبر . وحانه أشد الناس حبا له ، وباعه بفلوس معدودة .

وأهتر قلبى حزنا على الرسول الذى جاهد من أجل كلمة الله . ورأيت معبد النور فى ظهران . ودخلت ورأيت سراجا منبرا محاطا بزجاج . وقال لى الراهب

_ هذا النور أبدى ! !

وضحکت کیف یکون النور أبدیا . وأنا أستطیع أن أخمده بتفخة من أنبی . وأی طفل یفعل ذلك . وکیف أعبد سراجا صنعه إنسان . ووضع حوله الزجاج . وتحته الزیت ۱۰ إن النور الذی بجب أن نعبده هو الذی وراء کل شیء أمامنا . ووراءنا . وفی تفوسنا .

إن النور الأبدى هو الله

ورآیت معید » زرادشت». ورأیت معید « بوذا » .. و «کونفوشیوس »..

وفي مدينة «كيونو» باليابان دعاني أحد الأصدقاء لأرى أحدث ما اهتلت إليه العبقرية اليابانية في العبادة

فهم في اليابان يعرفود أنهم مئات الملايين اليوم وغدا وليس في الإمكان أن يدهبوا جميعا إلى المعابد في وقت واحد . في أي يوم من أيام الأسبوع ولذلك فإن كل واحد منهم أقام معبدا في وكن من أركان البيت يتوجه إليه وبصلى فما دام الله في كل مكان . في الإمكان أن يصلوا له في أي مكان . في المحادة . في وكن من أركان أي يصلوا له في أي مكان . في السيارة . في الطبارة . في ركن من أركان أي بيت

وسألوني : ما رأيك ١٢

ورأيت مثات الألوف يتمرغون في ظير الأنهار المقدسة . ورأينهم يصبعون بالدم وجوههم - ويحرقون بالنار أصابعهم . كل ذلك عملا باخكمة القديمة _ إن أسرع طويق إلى الله هو الأله ا

ولكن أى إله . وأى طريق . وأى ألم ١٢

ورأيت أحد الآلهة ، وجلست إليه ، وشربت معه ، وتحدثت وانتقلت منه عدوى الأنفلونزا ، وهنأنى ورراء « الدلاى لاما ، على هذا الشرف الذي لم ينله أحد من قبل (!!) . .

إنهم يعاشرون هذا الإله ليلا ونهارا ، ولكنه لم يتفضل عليهم (بعطسة !) واحدة . بسعال ، أو النهاب رئوى ' ا ولكننى أنا الغريب القادم من بلاد بعيدة قد حبانى بهذا الالنهاب في أنفي وفي حلق ، وهذا الوخز في جنبي . فشكرا لقداسته على ذلك ! !

إنهم هم الدين يشكرونه بالنيابة عبي ! !

* * 4

أبن هذا كله مما أنا فيه ؟!

لقد ابتعدت جسميا ، ونفسيا عن هذا الفيض ، والذوبان ، والتذويب لكل ماحولى ، أو على الأصح هذا التدويب لكلى أنا ، وما حولى كله .. إلى آخر المفردات التي يستخدمها من يذهب إلى بيت الله الحرام

ه مثلا ؛ الطواف ، والسعى ، والدعاء ، والوقوف ، والإفاضة ، والنفرة ، والرمى ، وكلها مفردات تدل على أن قوة إنسانية تندفع هذا الإنسان معا . أو على أن قوة روحية تدفع هذا الإنسان معا . أى مع الملايين حول شيء ، وإلى شيء .

إن الدين بطلب من كل مؤمن أن يطبع ، وأن يكون معا .

وأن يتجه إلى الله وكل شيء براه ، أو حوله ليس إلا رمزا إلى معنى . وهذا المعنى قد به إليه الرسول من أحل أن يتحقق الحير العام لكل الناس ، وكل الناس ، معناها كل الناس من كل لون ، وسن ، وأرض ، وثوب ، وموقع ومركز وبجب أن لا يكون هناك لون أو ثوب ، وأن لايكون هناك شيء بميز أحدا عن أحد ، فالناس أمام الله سواء ، كلهم قلوب تدق أو لاتدق . أما أحد ، فإن هذا أجسادهم . أما عقولهم . أما أرضهم . أما لونهم . فإن هذا لايهم !

إن كل هذا الذي أقوله لم يستغرق إلا دقائق . ولكن كم من الساعات عشت لكي أرى . وكم من الأيام رأيت لكي أعيش ساعة . أو أقل من ساعة !!

إن ملايب الناس قد زاحموا . وتدافعوا أمواجا يدوس بعضها البعض _ وأحيانا يقضى بعضها على بعض _ حتى أصبح ما يشغل الناس هو كيف يقفون ليروا . أو كيف يرون مكانا يقفون فيه . وإذا وقفوا أن يمدوا أعينهم . أو أيديهم . ليتأملوا أو يقولوا شيئا .

إنبى لا أدعى أننى أمصيت الأيام كلها أتأمل في خلق الله .. في نفسى . أو في غيرى .. فإننى لم أكن سعيدا إلى هذه الدرجة . ولكنى سرقت من الناس ساعات قليلة . وحاولت أن أجعل إحساسى مها مكثفا حاولت أن أنفذ إلى أبعد وأعمق ولا أدعى ـ أيضا ـ أننى وصلت إلى شيء .. فإن الذي أستطيعه

قلبل جدا . والذي أريد أن أعرفه كثير جدا . إن عمرى قصير .. وعمر الإنسانية كلها قصير . وهذا العمر القصير لاينسع لكل ما أريد . ولذلك فإن القليل الذي أعرفه قد أراحتي بعض الوقت . والكثير الذي لا أعرفه قد عديني معظم الوقت . ولايزال ، فاللهم أعنى على نفسي حتى أعرف أكثر . وأستريح أكثر .

إن دهشة الناس عبدما يرونى حائراً . ضائعاً . أو أكثر حيرة . أو أكثر ضياعاً . لايفوقها إلا أن حيرنى أعمق ثما يرون وعدائي أفدح ثما يتصورون .

إن كل شيء حولي يقول 🗈

- إن كل الناس حولى يصرخون . ويلهثون . وهم جميعا مفردات طائشة ملتاعة في كتاب مفتوح . إن عذابنا لاحد له . ولكن أكثر هذا العذاب من أنفسنا . فنحن بعيدون عن أنفسنا . ولو نظرنا إلى أنفسنا ماكان حالنا هكذا

والله يقول ، وفي أنفكم أفلا تنصرون .

وهذه مناسبة طويلة عريضة أن تعيد النظر إلى أنفسنا لنعرف أين نحن . من أي شيء . أين الإنسان من الإنسان . أين الإنسان من الشيطان .. أين الإنسان من الله ١٢

إن زحام الناس على رجم الشيطان شيء عجيب. إن الشيطان ليس أمامنا فقط. إنه ليس هناك. إنه في

نفوساً . وليست هذه الأحجار إلا رمزاً . إن الذي رأيناه في نهاية الحج يستحق أن نكرره بعد ذلك . بشرط أن نرجم أنفساً . فكلنا لبعض شيطان . أو كلنا هذا الشيطان ؟!؟

هل قلت شيئا ؟!

إنبي أحاول أن أبتعد لأرى أوضح ...

إننى كالذى بجاف أن يفتح عييه على قوص الشمس . ولذلك أحاول أن أنظر إلى الظلال . وأتحسس الدفء ، أو أنظر إليها ببعض عينى وقد ارتسمت على الماء .

إنبي أحشى أن أفتح فيها عيني . فأفقدهما إلى الأبد

والذي يعزيني عن هذه المحاولة . أنبي عندما اتجه إنى الله . فإننى أراه بلا عينين . وأسمعه بلا أذنين ، وأحج إليه في أي وقت . وفي أي مكان .

إنبى الآن أعدر ذلك الإغريق الذي حكمت عليه الآلهة بأقسى وأقصى درجات العذاب . ذلك المسكن ا تنتالوس ا الذي وضعوه في بحيرة من الماء العذب . وسلطوا عليه الشمس . وكلم احتاج إلى الماء ارتفع الماء حتى شفتيه . وكلم أحنى رأسه ليرتشف الماء . انحسر الماء . وظل الماء بعلو . ويهبط دون أن بدوقه إلى الأبد إ

إن شيئا من ذلك أشعر به ._

خطوة قصيرة في طريق طويل

يقول الفيلسوف الهدى ﴿ رَنَ الذَى عَاشَ فَى الصِّنِ وَانتَشْرَ دَينَهُ فَى الْمَا مِلاَئِنَ مِنْ قطرات الندى ، استقرت كل واحدة عند تقاطع فى نسيج لعنكبوت على شجرة فى غابة عرضها السماء وطولها السماء . وعلى هذه الملايين تسلطت أشعة الشمس .. تضى لها قبل أن تبددها .. وفي اللحظات السريعة قبل أن تتلاشى القطرات التي ينعكس عليها الضياء .. ضياء الشمس وضياء بعضها البعض يتساءل الحميع .. ومن نحن ٢ ولما ذا هذا ؟ وإلى متى هنا ؟ وما معنى أى شيء ٢ ـ هي التي تسأل . فهل تستطيع أن تجيب أنا الذي أسأل . ولاشيء يدل على أنها تقاوم التلاشي والاختفاء فى ور الشمس إلا هذه السطور ..

مند الطفولة مأت هذه الرحلة ، منذ اللحظة التي جمعت فيها وعن أطفال كلمات الله والنبي والجنة والنار .. وكانت كلها غير واضحة .. ولكن يصحبه كثير من وسائل الإقناع بالكلمات والابتسامات واللعنات .. من الأب والأم والأخوة والناس .. وانغرس في أعافنا أن الخيرجنة وأن الشر نار , وأن النبي قال ذلك والقرآن يؤكده كل يوم .. وأن هذه أمور لانتاقش ، وانخا تسمعها وتحفظها ولانهسس بها . وتسكت عليها ، لأن الحميع يسكون .. سنوات وسنوات وهذه اخفائق قد أصبحت كالمحم والدم ، وكالعيل والأنف

كل شيء حولى يقول ينطق يضيء يظهر وأنا هكذا مغمور بلا أطراف . لا أستطبع أن أمد عينا - أو بدا إلى شيء حتى الكلمات لا أجدها . إن شيئا قد وقع بينها وبينى او بينى وبين قلمى . أو بين قلمى وبين الورق . أو كل الأشياء . قأنا رأيت " طاقة القدر " ولم أستطع أن أفتح هي - وواجهت الشمس - ولم أمد عينى . أو كأنبى حججت بقلبى ، ولكنى لم أر شيئا ..

ولكن . عندما أعود إلى حيث أستطيع أن أرى أوضح . وأسمع أقوى . وألمس أقرب . وحيث تصطف الكلمات والحروف والنقط في خدمتي . هناك أجدني قادرا على أن أقول . فعذرة أنني أريد وأحاول . ولكن لا أستطبع . .

فإلى مسيرة فى العبارة - والإشارة - والإثارة - والإنارة ، والإنارة ، حتى حدًا السطر الأخبر . لم أفقد أملى فى أن أحاول . حتى آخر نقطة فى هذا السطر !

أنيس متصور

والأذن ـ أَضَيْفَتَ إِلَى احسمِ الإنساني . أو أقيمِ عليها الإنسان والإنسانية ِ

وأول كتاب حفظته وأنا طفل هو القرآن الكويم ، ولا أستطيع أن أفول إننى فهمت منه شيئاً . وتكن موسيقى الآبات وروعتها وتكرارها اليومي على نسانى أبقاها فى ذاكرتى .

وجعلنى موضع تقدير الحميع , . ولم أكن أعرف أننى حققت شيئاً كبيراً إلا يوم ذهب شيخ انكتاب يعلن لوالدى أن ولده قد أتم القرآن الكريم .

وأذكر بوضوح الهجة والسعادة على وجه الحميع . ولاكيف يقدمونيي عليهم . وكيف كنت أنصدر كل مجتمع ولأنتى طفل صغير أميل على ذراغ والدى وأنام. وكثراً ما كنت أسمع من يقول . وهل أنت حفظت القرآن الكريم . إن طفلا صغيراً فد حفظه . إنه رضا الله . وعقلك التخبر لا .

فن رضا الله أنني حفظت ، ولأن عقله تخين والله عبر راض عنه ، فهو لم يحفظ القرآن الكريم . وكما هي عادة أهل الريف في قرية بوب طريف مركز السنبلاوين دفهاية اجتمع الشيوخ وانتاس الطبيون والعمدة وشيخ البلده في بيتنا , وكان البيت قصراً عظيما نسكن فيه ويملكه علمل باشا يكن ، وكان أبي مأموراً لنفاتيش علمل يكن وعر الدين يكن وبعمت هاتم يكن . وفي ساعة منكرة من اليوم تغيرت ملابسي وتبدلت .. وأحست بمن يقول في : لاتلعب اليوم .. فاليوم بومك !

ولم أفهم من هذه العبارة إلا أننى لى أنعب . وإلا أن الحلاق جاء وقص شعرى , وإلا أن بعض الحلوى قد امتدت إلى جيوبي وبضعة قروش إلى يدى , وإلى أن النظرات تغيرت ولم أفهم بالضبط ما هذا الذي تغير ولا لماذا ؟ ولكن الناس جميعاً تجفونني ويقولون شيئاً لا أدريه (نهم يؤكدون أن اليوم

غنلف عن أى يوم آخر .. ولكنى خفت ولم أسأل أحداً . وتجيء القبلات من الصغير والكبير تغمرنى . إن هذه القبلات قد عرفتها فقط عندما كنت مريضاً . أو عندما مات أحد أقاربى ، ورحت أبكى عليه . مع أننى لا أعرفه . ولكن رأيت أمى تبكى فبكيت . إذن ما هذا الذي سوف يحدث ؟ ما هذا الشيء الذي تسقه النظرات والأوامر المشددة والتي تحذرنى من اللعب اليوم . وهل هو البوم فقط ؟ أو هوكل يوم ابتداء من اليوم ؟ لا أعرف .. وطال النهار .. وجاء الليل على مهل .. وأضىء البيت بالكلوبات .. وجاء أناس كثيرون .. بعصهم الليل على مهل .. وأضىء البيت بالكلوبات .. وبعضهم لا يعرفنى .. ونكن سرعة يعرفنى ويضع الفلوس فى بدى .. وبعضهم لا يعرفنى .. ونكن سرعة تمتد الأبدى تشير إلى .. والفلات بعد ذلك ... وألما خالف .. ما الذي الرتكتة ... لاشىء واضحاً فى رأسى فى ذلك الوقت ...

وبعد أن تعلقت الأصواء جاء الليل بسرعة كأنه كان ينتظر المصابيح ليتسلل الى عبنى وأنام فى ركن من أركاد الغرفة ويوقظنى الجميع ... وتتردد عبارات تدوى فى أذنى ا يامخنك . الحنة لك . ادع لنا ا ..

وتحدث الناس في أشياء كثيرة . لا أعرف ماهي وتناولوا العشاء . فقد ذبحت بعض الأغنام . وطلع النهار . وعرفت أن هؤلاء الناس جاءوا يباركون الطفل الذي باركه الله . وكان هي أن أعرف هل اليوم التالى مثل الأمس أم أن كل شيء قد انتهى . لم أجهد نفسي في فهم شيء فقد عاد كل شيء إلى ما كان عليه . والدي سافر الناس اختفوا . عاودت اللعب في المفارع ...

وفى العام التالى دخلت المدرسة .. وكان معروفاً لدى القليل أنني أحفظ القرآن الكريم .. ومثات من أبيات الشعر ، فى مقدمتها الشعر الذي نظمه أنى فى التصوف وفى الهجاء وفى الغزل .. وقصائد طويلة لشعراء آخرين .. وأعتقد أنتى

ماكنت أفقه منها إلا القليل .. ولكن قدرتى على حفظ الجيد من الكلام قد تأكدت . فأنا تلسيد مختلف . وهذا واضح ـ أو هكذا كان المدرسون يفولون ..

والتقيت بأطفال معي من أديان مختلفة , ولم أعرف معنى الأديان المحتلفة . ولا أحسست بها ونحن ثلعب . ولكن مانسمعه حولنا وفي بيوتنا جعلني أنظر إلى هؤلاء الأطفال نظرات مختلفة . وأحاول أنَّ أجد فيهم شيئًا مختلفاً . وأصبحت صداقتهم خطراً . وأصبح التحدي هو لعتنا نحن الصغار . فنحن تلاعب أطفالًا مِن أَدِيانَ مُختَلِفَةً وَكَانَ اللَّعِبِ مَعْهُمَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الأَطْفَالُ مِنْ كُلِّ دِينَ هم الأطفال . وأن لاخلاف بينهم . ولكن لأسباب أخرى خارجة عن صفاء الطفل وبساطته ، نقيم الفواصل والحدود الشائكة .. ثم أصبح هذا الحلاف واضحاً في حصة الدين بحتمع أطفال ، ويخرج أطفال وعند الصلاة يدهب أطفال إلى الجامع وآخرون إلى الكنيسة وفئة قليلة إلى المعبد . . ولم نفكر ونحن صغار في هذه الفوارق كثيراً . رغم أننا نسمع كثيراً حكايات ونوادر عن أبناء الديانات الأخرى كيف أنهم وزاء النعومة ثعامين . ووراء السكون سكاكين . وكنا نسمع ذلك ونصدقه . ولكن لاتحده بين هؤلاء الصغار .. وكان يقال لنا : إجم صغار ، لايعرفون ، وعندما يكبرون سوف يكتشفون ذلك !

ولا أعرف إن كان هو التحدى . أو الشعور العميق هو الذي جعلنا وتحل طلبة في المنصورة الثانوية للفكر في تشكيل حمعية دينية اسمها ، جمعية المفكرين الأحرار ، ولا أعرف من أين اهندينا إلى هذا الاسم الغريب . الذي لاعلاقة له بالندين . أو مفروض أن ينطوى على النحرر من كل فكر سابق أو دين . ولكن ببدو أننا اخترنا هذا الاسم للدلالة على أننا نجر بتنا اخترنا المبحث في الدين ، وكنا

أربعة . واحد أصبح شيوعياً عنيداً والثانى أصبح فعلا من رجال الدين المسيحى . وهو الآن فى أثينا , والثالث بعمل فى الإذاعة الإسرائيلية من تل أبيب . وأنا .. ولم يكن هناك أى تدبير أو تفكير .. ولكنما مجموعة من الطلبة تسكن فى شارخ واحد فى المنصورة كان اسمه شارع كوهين . وكنت أسكن فى رقم أ . حيران ولم تتناقش فى الدين إلا قليلا . وإنما كنا مشغولين بالشعر والفلسفة والتاريخ .. وكانت لنا عادة لا أعرف كيف تكونت وهى أن يقرأ كل واحد منا كتاباً . ثم نجلس على النيل فى المنصورة تلحصه . وتتناقش عد ولك .. وتفرقنا .. وتفرقنا ..

وفى الجامعة لايزار الدين نوعاً من المعامرة أو المحاطرة . أو الشيء العجيب وقد تحصصت فى دراسة الفلسفة . أو الفلسفات والاديان ومقارنتها . وقرأت التوراة ولا أدعى أننى أخذتها مأخذ الجد ، ولكن أفزعتني قصصها الحسب الفاحشة ، ولم أفهم لدلك معنى ولا سألت أحداً ، واستهواني من الأناجيل إنجيل يولس الرسول ، وربما كان بونس أقرب كل الحواريين إلى الفلسفة اليونانية ، وقرأته باللغة العربية . ولم تعجبني لغنه ، وترجعته من الإنجيزية والفرسية إلى اللغة العربية السهلة . وما أزال أحتفظ بهذه الترجعة ا

ولا أعرف غاذا فعلت ذلك ا

وقرأت ادلانة الحائرين الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون طبيب صلاح الدين الأيون وكان هذا الكتاب يستهويني طويلا لأنه مكتوب باللغة العبرية ولكن بحروف عبرية وكانت فرصة للتمرين على قراءة اللغة العبرية ولا أقول إنني فهمت شبئاً مما قرأت ولكنها كانت فرصة لإشباع الرعبة في التحدي . تحدى ماسمعت ولم أفهم عن الأدبان الأخرى . وألماء الديانات

الأحرى ، وكان من أساتادة كلية الآداب فى ذلك الوقت مستشرق يهودى ألمانى يوغوسلافى اسمه : باول كراوس وكان شخصية فلدة ، وكنت من المعجبين به ، ومن النلامادة المتابعين له ، وكنت أحضر دروسه ، ولم يعرف إلا فى نهاية العام أننى تلميذ متطوع فقط ، وأن تلامذته قد هربوا منه ، وكانت صلعة هائلة له ، فقد أننى الكتب على الأرض وداسها بجدائه ، فقد طن أنبى واحد من تلامذنه المحلصين ، ولست واحداً من التلامذة المحلصين للعلم فقط ، وكان يدرس ه لى الم ذلك الوقت : ابن الهيثم والمرارى وابن المقفع والحلاج .. وكان يأمل فى أن أشترك معه .. أنا الصغير - فى إعداد قموس يونانى - عربى عن الكلمات التى استخدمها المترجان إسحاق بن حنين وحنين بن إسحاق والمعاصرون لها عندما فقوا الحضارة اليونانية إلى النفة العربية !

وبهرتبى دراسة الفلسفة . وأحست أن أنواعاً جديدة من العدسات الملتصقة قد ركبت لعيبى . وأن دنيا جديدة بأنوان جديدة ومسافات جديدة قد ظهرت . ومن العجيب أنها ظهرت في نفس الأماكن التي اعتدت ألا أراها فيها . الناس لهم معنى آخر . العلاقات لها دلالة أخرى . الله والعالم والناس والقيم الأخلاقية والقيم الحمالية والنفس والحياة والموت والمادة والمروح والعظماء والأبطال والأسياء والقدسون والحواريون والصحابة والماعون والمدراويش . وقفرت كلمة جديدة أصبحنا نسرف في استخدامها بلا حوف . الإلحاد

وشجعنا على استخدامها أناكه نذرد على بيت الأستاذ العقاد في مصر الحديدة . كان هو لاببالى بشيء وفي إحدى المرات أحد الأستاذ العقاد بتكلم عن الله والسماء والأرض . ويقول : كيف يجلقني الله في عصر يعيش فيه هؤلاه المهائم ... ويشير إلى عدد من الحكام والوزراء وأساتذة الجامعة !

وعندما يفرغ الأستاذ العقاد من هذه العبارة كنا نشعر أن السماء لابد أن تنطبق على الأرض . أو أن بيت العقاد يجب أن يتهدم فوراً _ فقد قال العقاد شيئاً رهيباً ..

وأذكر أننى أحست ألنى فقدت السمع والبصر عندما قال الأستاذ العقاد مرة فى إحدى حالات عيظه : نو أعطيت المادة الأولية هذا الكون لصنعت كوناً أجمل من هذا ٢٠.

وقد ضربنا الأستاذ العقاد على رءوسنا . بل رنه قنح رءوسنا وأسقط منها الحوف . ثم أعادها إلى مكامها . أو إلى مكان آخر من أجسامنا . دون أن يدرى ، ولم يكن العقاد إلا مفكرا عظها ، ومؤمنا عظها ، ورائداً عظها ، فقد أضاء لناكثيراً . وشجعنا ، ودفعنا . وملأ عقول بالفكر . وملأ الفكر بالاعتزاز ، وجعل المفكرين في قمة البشر ، وكان ذلك شعورنا عندما للدهب إلى متزل العقاد (١٣ سليم الأول في مصر الجديدة) فقد كان اجتماعه يوم الجمعة من كل أسبوع . وكان المصالح الحكومية تضع الأعلام تناسبة هذه الإجازة . وكنا نقول لأنفسنا : إن من يذهب إلى العقاد يجب أن ترتفع الأعلام لتحيته !

ولى هذا الوقت أيضاً ظهرت شخصية قريبة منا ولنا , ولكنها شخصية شائكة . بلا أبوه ولا أخوة _ ولا إلسانية أيضاً _ شخصية أرادت أن تكون باهرة دون أن تهدى أحدا , عالية دون أن يقرب منها أحد . شخصية أرادت أن تكون هناك فوق ولا يهمها كثيراً أن يكون أحد مثلها أو قريباً منها _ إن هذه انشخصية تشيه ، الله ، الذي تحدث عنه الفيلسوف أرسطو _ فقد كان أرسطو يتصور الله على أنه جالس هناك فوق . وقد أدار ظهره للكون _ وهو بدير الكون بظهرة _ احتقارا منه لشأن الكون والكائنات . ولأن الذي ينظر إلى شيء ، معناه أنه احتقارا منه لشأن الكون والكائنات . ولأن الذي ينظر إلى شيء ، معناه أنه

يهتم به أو بحتاج إليه ، والله لايهتم إلا بنقسه ولابجناج إلى أحد ، فالذي بجناج إلى شيء ، هو الناقص ، والله كامل ، إذن لا حاحة به إلى شيء أو إلى أحد .

ولذلك فأرسطو قد صور الله عالياً بعبداً أدار للكون قفاه . وترك كل شيء يجرى في القواعد التي وضعها له . .

هذه الشخصية التي تشبه آلهة أرسطو هي : د عبد الرحم بدوى فقد كان بدرس لنا الفسطة البونانية .. والفلسفة الإسلامية والفلسفة المسبحية والفلسفة الوجودية .. لقد كان يهزنا بعنف . يهزنا ويتركنا نلهث وراءه . فهو حاد الملامح . سريع الحركة . له نظرات خاطفة لا مبالية . وإذا حاول أن يكول رقيقاً كان جارح . ولكنه كان ساحراً لنا . وكان يرتدى بدلة زرقاء ـ رأيناها أكثر من عشر سنوات ـ وطربوشاً أحمر قاتماً . ويمشى عطوات سريعة آلبة . فإذا دحل القاعة . لم ينظر إلى أحد . لقد جاء ممثلثاً بالعلم . وعلينا أن نستمع . وأن نكتب . وهو يفتح قه عندما يدق الحرس . ويطبقه عندما يدق الحرس . وكنا نهامه . ولانعرف كيف يمكن أن يكون للإنسان مثل هذا العلم يوماً ما . وقد حاولنا أن قلده . وأن تحطو خطواته . وأن تجه وأن تكرهه . ولم يكن مناك اعتمال في العلاقة به . فقر بق يجه جدا . وفريق بكرهه . جدا .

وأعتقد ألني كنت من الذين يعجبون به . لأن حبه صعب . فالحب يقتضي أن يكون هناك تفاهم ومودة واقتراب أكثر ونضحية واعتياد عبيه . ولكن لاشيء من ذلك ممكن فهو بعيد وحريص على ذلك . ونحل لانستطيع أن تضيف إلى الإعجاب به الهوان معه . ولذلك ظل هو هناك وظللنا نحن بعيدين عنه ووراءه ..

ولا أعرف بالضبط مالذي كان يمثله لنا د . عبد الرحمن بدوي في ذلك

الوقت. وكل ما يكن أن يقال عنه أنه الموسوعة السفية وظاكرة غير طبيعية وقدرة خارقة على التحصيل ويستمنع بكراهة الكثيرين وقي مقدمتهم الأستاذ العقاد وكان ذلك صدمة لى فلم أكن قد تعودت أن يوغزعني أحد في البديهيات وكان العقاد من البديهيات وعبد الرحمن بدوي من البديهيات أيضاً ولم أعرف كيف أوفق بين الإنهن ولكن العقاد كان أقرب. فأنا أجلس إليه وأتحدث معه وأداعيه وهو يروى لنا البكت ويحدثنا عن السياسة ويسأل عنا إنها أبوة لانظير لها ولكن عبد الرحمن بدوي لا هو أس ولا يستطع ولا هو أخ ولا هو صديق ولا أعرف كيف يمكن أن يكون هناك لقاء معه أو لقاء به ولكنه شخصية تستحق الإعجاب والدهنة .

وأصبح عبد الرحمن بدوى مثل كل الأيطال الذين نقراً عهم ولانجدهم في حياتنا .. إذل هو شخصية أسطورية . يبدو أنه كذلك . لأن إحداً لم يوه يمشى في الشارع أو يجلس في مطعم . ولكننا نجده في المكتبات دائماً .. وبسرعة تغيرت الصورة فقد وجدته في الشارع وفي المطعم . ووجدته بضحك ووجدت من أصحابه من يخرج معه و وبشنسه اكما يفعل الأصدقاء .. ووجدته حريصاً على المال .. إذن لقد تساقطت علينا معلومات كثيرة تشجعنا عليه وتهر أكتافنا إذا زأيناه .. إنه إذن واحد ككل الناس .. وبطولته الأسطورية من صنع أوهامنا .. بل إننا حلسنا إلى أستاذ آخر على أعشاب كلية الآداب ، وكان يقرأ لنا الرسائل بل إننا حلسنا إلى أستاذ آخر على أعشاب كلية الآداب ، وكان يقرأ لنا الرسائل التي ترجمها الشاعر الألماني ربلكه _ ولم يكن هذا الأستاذ يعرفنا . ولك رجل تسبط استراح إلينا . إنه د عبد الهادي أبو ريدة ، أستاذ الفلسفة الإسلامية في تسبط استراح إلينا . إنه د عبد الهادي أبو ريدة ، أستاذ الفلسفة الإسلامية في قلك الوقت .. كيف فعل دلك ؟ وكيف لايفعل غيره ذلك ا

وأصبحت من الأسماء الحسى على ألستنا في ذلك الوقت : نبنشه وشيلر

واشبنجد وهيدجر ودلتاى وتسينر . وغيرهم من الألمان الفلاسفة والمؤرخين . إذا لقيد وجدنا أنفستا غارقين في انفكر الألمان

وأقبات على كل ماهو ألمان ! اللغة والأدب والفلسفة وأصبح طابة الفلسفة متميزين بعضهم عن بعض . نحن المثانون الغارقون في الإيمان بالمنطق والفكر المجرد والبطولة والصوفية ، والآخرون ماديون واقعيون مطقيون شعبيون .

ولا أض أن كل هذه المفردات كانت واضحة في يأسي في ذلك الوقت بل لا أعرف أين وأسي من قلبي . وأبن قلبي من عفل عبد الرحس بدوى في فلك الوقت . لقد المشغلت رموسا واحتلافت والدحمت وتحل للوم بها المخين غادين من المكتبة وإلى الببت

وبسرعة انتقلت إلى الفلسفة الوجودية وهذا طبيعى . فالضياع بين الأفكار والمأناهب وتعدد آلهة الفلسفة وعلم النفس وتعدد القبلات والعبادات والكتب الفكرية المقلسة قد محاكل معالى ولم أعد أعرف من أنا فأنا مثل طفل ينعير إسمه كل يوم . فهو لا يعرف له أنا ولا أما ولا بينا ولا لغة ولا وصاً إنه ابن الجميع . ومن صبع الجميع .

وكان لابد أن يتوقف الإبسان عنى الجرى وراء كل هذا اللدى قرأ وسمع . وأن تنخفض درجة حرارته . وأن يلقى الماء المشبع على وأسه لبغيق من هذه الحمى الفسفية . وأن يفتح مظلته الواقية لببط برفق على أى أرض صلبة . أى أرض . . فقد تعب من الدوران حور الذى لا يعرقه . فيس لى كوكب واحد أدور حوله . إنني أصحو وأنام وفي أثناء النوم يتغير الكوك الدى أحد نفسي ألف حوله . ولا أعرف إن كنت من وواد الأرض أو الفمر . الفسفة الألمانية أو الفرسية . وصدية أو الفارسية . مصريا

عربياً . أو مستشرقاً أو « مستعرباً » مهاجراً أو مهجرياً أو مقيماً «صدرياً وصلياً أو مطروداً من لعتى وأصلى وتاريخي .

وی الفلسفة الوجودیة وحدت أنبی أقول النبی وأقول بحریة ... حیاتی تاریخی حاصری ارادی دیبی رفی مصیری امستقبلی مهایتی موتی قلقی قرعی وجودی وعدمی ..

قى الفلسفه البرجودية أكدت نصبى فى مواجهة الدين بجروبى من كلى اعتزار برأى أو بفكر . كيف بكون فى بأى أمام فبلسوف عضم مثل هيجل أو مازكس . أو تبتشه أو شوينهوي . أو أفلاطود أو برسل أو ببكون أو اسينورا . كيف أنهم تفرغوا للدى لم أستطع أن أتفرع له . أضاعوا العمر وأضاءوه بالفكر والوجدان . أين أنا منهم ؟ كيف أمد يدى فى جيبى وأخرج ملاليمي العقبة وأبا واقف أمام خوانى السن المركزى . لابد أن ألشعل تما يملث غيرى . وأن أتحدث عن ترانهم ، وى لحديث عن ترانهم إحقاء لنظرى وعجزى وإفلاسى .. لم يكن من المنهل أن أتحدث عن نفسى أو عن الذي فى داخلى أو الفتى أريده أن يكون فى داخلى أو

وجاءت مع المدكتور عبد الرحص يدوى و الفسفة الوجودية ... والنقطنا الكلمة .. والمفردات التي تخلها إلى الفلسفة .. وكالت عدد الكلمات تأشيرات دحول وخروج من كل الملباها الفلسفية والدينية .. للحل ونخرج كما يجلو لها .. قلا حوف .. فقد طلبنا أجساما بالشحم .. فلا حوف من الغرق .. إن أطواق النجاة في أعناقنا . فلا حوف أن يجرف النيار .. ومن صميم حرباتنا أيضا أذ نقل ولمرفض ما أعجبنا من كل ماكتبه وقاله د عبد الرحس بدوى والعقاد وغيرهما ا

فقد نجرأت في إحدى المرات وسألت العقاد ـ لعلك تلاحظ أنني لم أقل الأستاذ العقاد ـ وناقشته في كتاب صدر له . ولم يكن الغرض من السؤال أن أقول شيئاً إلا أنني قرأت الكتاب وفكرت فيها قرأت وأن لى وأياً خاصا. ومها كان هذا الرأى فهو وجهة نظر لطالب صعير فيها كتبه أستاذ كبير. ومن المسكن ألا أحسن السؤال .. ومن المسكن ألا أحسن الفهم .. ولايمكن أن أكون مستخفا بانعقاد أو أحاول أن أحرجه ـ لاشيء من ذلك !

وثار العقاد .. للدرجة أننى لم أعرف ما الذى قاله .. وارتفع الدم فى رأسى طويلا .. وبعد وقت قصير وجلت العقاد بتحلث فى شىء آخر ويضحك .. والنتهت الحلسة .. وفهست من زملاء لدوة العقاد أن العقاد لم يكن على حتى . وأنه ثار بلا سب واضح .. وعرفت فى ذلك الوقت أنه هو أيض من الممكن ألا يكون على حتى ولكن على حتى .. يكون على حتى واند يثور لسب ولغير سب .. ولكن _ مع ذلك _ فراياه أكثر من عبوبه .. وم أمتنع عن التردد على بيت العقاد !

وأذكر ألبي ناقشت في إحدى المحاضرات رأياً للذكتور عبد الرحمن بدوى .. ولا أعرف ما الذي قاله .. ولكن لايمكن أن يكون شيئاً مشجعاً .. وأدهشني ذلك .. ومن غضب الطلبة وضيق المدرسين بعبد الرحمن بدوى . تجمعت قدراتنا على الانفصال عنه .. رغم التأثير العميق يه ..

ولم يعجبني كتابه عن «الوجودية» وأصدرت أناكتاباً عن «الوجودية» وكال أسهل كتاب وأول كتاب صدر عن الوجودية باللغة العربية . ووزعت منه أكثر من مائة ألف مسخة في سنة ١٩٥٣ !

وما كتبه عبد الرحمن بدوى عن الوجودية لايفهمه إلا الذين درسوا الفلسفة ، أما الناس العاديون فيستحيل أن يفهموه .. وأعتقد أنني أستطيع مالا

يستطيع وكتبت . إلى إذن أختلف عنه نماماً . ولا يمكن أن أكون مدرسا للفلسفة مع أنبي قت بتدريس الفلسفة البونائية والحديثة والفلسفة الوجودية في كلية الآداب سبع سنوات . ولكن قررت ألا أكون مدرساً . فأنا لا أحب ولا أستطيع فهي مقدرة خاصة . وأنا أريد أن أكون أكثر الطلاقاً فقد تعددت القيود على عقلي وقلبي ولسائي ويدى وساقى . قيود الطفولة والدين والفلسفة . قيود الحب والإعجاب والإيمان بالبطولات الفكرية .. وأريد أن أتحرد من الأوثان الإنسانية .. دون أن احظمها .. فلا أستطيع .. ولست نبيا ولا صحب دين حديد .. ولاقادراً على صنع أغالبل أخرى ، لى ولغيرى

ولكن طالت سنوات الفلسفة .. والتوت سنوات الكفاح من أجل أن أجد نفسى .. قارئاً وكاتباً .. وانشغلت عن كل شيء إلا القراءة .. وكان والدى يقول الحكمة المأثورة : منهومان لايشبعال : طالب علم وطالب مال ! وكنت أنا طالب العلم .. ولم أعرف إلا متأخراً جدا أن الإنسان يجب أن يطلب المال . للسنطيع به أن يجد العلم في الكنب أو في السفر بين البلاد وبين الناس ، لأقرأ هذا الكناب المنتوح الذي اسمه : العالم .. والذي صنعه الإنسان ببديه ورجليه وعرقه ودمعه _ ودمعه _ ودمه أكثر _ طلباً للحرية من الفقر والخوف والمرض والجهل والطم ...

وابتعدت كثيراً جدا عن عيون الناس لأجد نفسى . وأغمصت عينى عن كثير من الدين أحبهم ، لعلى أجد شيئاً أو أحداً أحم . وعرضت حسمى لكل شهس. وأعطيت أدنى لكل صوت ، وعلفت أجفانى بكل صورة ، وأعطيت نفسى ، يذلتها ، بددتها . أرهفتها . بعثرتها ، نثرتها ، لكى أجمعها وأمسكها وأحرص عليها من جديد .

ولكنى لم أجد إلا مايفرعنى ، وإلا ماييفتى .. فبحنى عن الحرية حررتى من الحرية نفسها .. فوجدت نفسى عبداً حيساً مقيداً بكل هذه الكلمات التي وجدتها فى الوجودية .. حتى أصبحت الوجودية هى لغتى ولا أعرف غيرها .. والذي ليس وجودياً ، فلا وجود له .. فالماس نوعان وجوديون ، ولا وجود لهم .. ولكن كيف ٢ هل كل من يختلف معى فى الرأى ، لا رأى له ، ولا معنى له . ولا وجود له . إذن أين هى الحرية .. هل الحرية أن أكول أنا حوا ، ولا حربة لغيرى . إذن ليست حربة هذه .. الحربة لى ولك .. إن اختلف معك أو أتفق معك .. إذن فهذه الوجودية التي تنادى بالحربة تسلمها منى فى أول لمقاء ..

نم هناك أكثر من قلسفة وحودية . .

وجودية لرى أن الله ضرورى ، وأن الأدبان أساليب حياة بين المناس .. ولابد لكل إسان مر أسلوب في الحياة .. والمدين أسلوب حياة الشعوب .. لأنه أسلوب حياة الأفراد ، وهناك وجودية ترى أن مشاكل الإبسان العادية معقدة وصعبة .. وأنه لا يستطيع أن يحلها كلها ، فكيف يضيف إيها مشاكل أكبر مله مثل : الله والكون والموت والقيامة والبعث والحشر والنشور .. إن الوجودى العاقل هو الذي يعرف أن عقله قاصر ، وأن الله فوق العقل .. وأن الطفل الذي لا يعرف كيف يحفظ جدول الضرب ، لا يعرف أن يحسب المسافة بين الأرض والشمس ذهاباً وإياباً على أصابعه .. وأن العقل الذي لا يعرف ماذا وراء والشمس أو الشموس ، أو لا يستطيع أن يقيس السماء شراً شراً . لا يعرف من الشمس أو الشموس ، أو لا يستطيع أن يقيس السماء شراً شراً . لا يعرف من هو الله وماهى 3 حدود ا قدرته .. إذن يجب أن تنشغل الوجودية عباة الناس .. فقط احياة ، أما ما يعد الحياة فهو شيء بعد العقل .. وعن لا علك إلا العقل فقط ا

والذي أقوله اليوم في سطور ، قلد أقام سنوات طويلة في رأسي .. هزه وقسمه بعضه على بعضه ﴿ وأسقطه على كتفي ، وكسره على يدى ، وأحناه على المورق ، وأفسناه على مشاغل الحياة والسعى وراء الأماني تسحب مني لحظات الإنقراد بنفسي .. وتلقبني على الآخرين معهم وينهم .. وطالت الستوات .. ورجت أطالب نفسي بتعويض عن سنوات الشقاء والعداب والحرمان وانطلقت من نفسني بعدا عن الناس وعن الأرض وعن الأهل وعن مصر وسافرت وانفتحت نفسي على كل شيء هناك. وأصبحت لي عادات جديدة في الحياة وفي الفكر . . ومن بين هذه العادات الحديدة أن أتابع كل ما تخطه أقلام الناس في الشاطئ الآخر الذي أسافر إليه ... والذي ينفت الإعجاب به والحياة معه .. والسير على هذاه .. قما من مفكر كبير ظهر في زبع القرن الماضي إلا وأعرف عنه شيئاً كثيراً ، أو ألا أحد له كتاباً أو أكثر في مكتبني .. وكان من عادتي أن أحتفظ بصورهم .. وبعد ذلك توقفت عن هذه العادة الصبيانية . فقد أغنتني كثبهم ودوائر المعارف عن ذلك .

أذكر أنى ذهب إلى و الدير الدوميكي و العباسية .. وكنت أدرس القلسفة المسيحية هناك .. وق يوم وحدت صورة لرجل أعجب به جدا .. وأريدها .. ولا أعرف كيف أحصل عليها .. ولا أستصبع أن أشترى الكتاب الذي وحدثها فيه .. وطلبت من الصديق الأب قنواني أن أفتى هذه الصورة .. وكانت ضحكته الساخرة مقنعة في .. إذ كان معناها . كيف أنزعها من هذا الكتاب أو كيف أعطيك هذا الكتاب حتى لانتزعها ..

وقررت أن أدع الكتاب مفتوحاً . لأنظر إليها من حين إلى حين وبعد ذلك اشتريت كل مؤلفات الأب تيلار دى شاردان وقرأت أروع ماكت

ووجدت أن أفكاره أروع من صورته .. قهو عالم ورجل دين وقيلسوف وهو قنيلة مضيئة .. تضيء عنف !

وتوات الكتب التي تصور قلتي وفرعي وحيرتي .. واحتلفت الآراء حول هذا الذي يملأ نفسي ويفيض بها على الورق .. ولم يكن سب ذلك إلا الغليان في داخلي .. إلا براكبن في أعماق ترمي باحمم على الورق ولكن هذا العذاب هو من شأني أما .. فالكات يتعذب ويكتوى ويتلوى وبتأوه . ولكن إذا واجد الناس عليه أن يقول مايريح الناس ويفيدهم في حيانهم أو يهديهم إلى ماهو أفضل .. فالذي يقدم طعاماً للناس لايعرض عليهم أدوات المطبخ ، ولا يأتي بالفرن بيهم .. فيصيبهم شرد من النار .. فليس هذا من شأنهم ، إنهم يويدون أن يأكلوا ..

ونكن الكاتب يريد أحياناً أن يعرض على الناس صوراً من عدايه ومن براعته في التخلص من العداب لعلهم يفعلون مثله .. أو لعله يشعر في لحظة واحدة باقتدار على أن يفعل ما يعجز غيره عن فعله . ولدلك نحد الكثير من المطاعم تقدم الطعام وتطهوه أمام الناس .. ويرى رواد المطاعم أن المسافة بن المطعم والمطبح قليلة .. وأن المودة بينهم وبين الطاهي عميقة .. فلا مسافة مناك .. إنهم أسرة واحدة .. وهذا مايغرى الكاتب في كثير من الأحيان أن غناك .. إنهم أسرة واحدة .. وهذا مايغرى الكاتب في كثير من الأحيان أن يؤكده للقارئ لعله يستربح ـ القارئ بستربح والكاتب أيضاً إ

وقد فعلت ذلك كثيراً . ولا أظن أننى استرحت .. لقد كان كل ما أقرأه هو نوعاً جديداً من الوقود . . يجعل الناس أكثر النهاماً . ويجعل ألسنتها أكثر تلوماً . وزئيرها موسيقيا . كأننى أقوم بتجميل الشقاء لنفسى ولغيرى .. حتى أصبح هذا

التجميل أو x التعديب x ـ أى جغله عدياً _ أسلوباً فى الحياة . . وطال هذا الأسلوب . . وكان لابد أن أهرب منه

وتوالت كتب أخرى تصور هرى من عذاني .. هرني من حباتى .. ولكن لم أجد لنفسى مخبأ عقليا أو عاطفيا .

وبدأت دورة جديدة في النردد على المعابد من كل دين .

:: سعر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3

وذاب الشمع الذى وضعته في أذنس ؟!

أصيب الفيلسوف الألمانى ليتشه بالحبول فى آخر أيامه وفى فترات الوعى العابر والانزان المؤقت ألف كتابه الرائع ، المجنول والحكمة ، واللمتى عرف بعد ذلك باسم اأخنى وألماء. وكانت أخته أيضا على درجة من الحنول، فقد احتشادت الآراء والقواءات والانفعالات فى عقله وصدره حتى انفجر بكل شيء

وانطفأ لنور عقله ونور عييه ...

يقول تبتشه ؛ ما الذي جرى ٢ إننى مثل عوليس بطل الإليادة . وقد نصحوه أن يضع الشمع فى أذبيه حتى إذا اقترب من المغلبات الساحرات . لم بقفر من سفيته ويروح ضحية هن ، وقد حرص عوليس على أن يربط نفسه إلى شراع سفيته وأن يقترب من الساحرات ، ولكن حدث شيء غريب . فبدلا من أن تتغلي الساحرات ، فإنهن الترمن الصحت ، وعرضن الوجه الجنبل والشعر الحرير ، والأجسام الفاتة . ولم ينطقن بكلمة ، وإنما تركن الكلام لبقية أعضاء الجسم . فاذا حدث بعوليس . إنه الدفع سفيته وتحصم على الصحور التي جلست عليه الفاتئات الساحرات . ولم بنفعه الشمع الذي ملأ به أذبيه ولا الحبال التي التقت حول جسمه ويديه . لقد دخلت الساحرات من عيبه دول كلمة واحدة

ولا أقول إنى هذا العوليس الذى صد أذليه بالشمع وربط نفسه بالحبال حتى لا يفنه شيء مما رأى ولكن هذا الشمع كان طبيعيا في حياتى . فأنا أل يد أن أعرف فقط ولم يكن عندى استعداد لأن أصدقى أو لأن أهتر وأسقط راكعا أو ساجداً . فقد كان أبي رجلا مؤمنا . ولا أعرف لماذا لم يكن حريصا على أن يدفعني في طريقه . فقد كان حيى له يجعلني أفعل كل ما يقول به وتعلمت منه شيئا واحدا مع الأسف الشديد أو مع كل الاسف - أن أصحو في الساعة الحامية من صباح أي يوم . كان يصحو للصلاة وتلاوة القرآن وشرب الشاى بالنعناع وكنت أحب والدي ، وأحب صوته وهو يرتل القرآن وأحب النعناع في الشاى .

وكنت أصلى وزاءه .. ولا أعرف بالضبط ما اللتي كنت أعمله ، أن أصحو معه وأجالسه. وأنام بسرعة وينقسي إلى السرير.. هل هي حاجة إلى مزيد من العطف؟ هل سبب ذلك أنه والدي كان دائماً بعيدًا عن تسكن في بلد وهو يعمل في للدآخر. هل هو الشعور بالأمان إلى جواره ﴿ رَبَّا كَانَ العِدَامِ الأَمَالُ هو انذَى جعل طفوتني خائفة _ ولم أكن وحدى الخائف _ ولكن أمي أيضا _ فنحن لنكش ولتكوم بعضنا إلى حوار بعض حوفا ولكن من أي شيء كنا تخاف. لاأعرف في ذلك الوقت بوضوح. ولكن كنا حريصين على إقفال الباب والشباك وكنا نتواصي بألا بسرف في الإنقاق حتى عد فلوسا في آخر الشهر ، ولكنَّ لمامًا كلُّ ذلك ؟ لم أعرف . ولكنه الحوف قد تسرب وترسب قي تفوسنا ربما هذا الخوف اللمائم هو الذي جعلتي أنجه إلى شيء ما بجعلتي آمنا , وهذا الأمن لم أجده إلا في القراءة وإلا في المذاكرة وإلا في معرفة الكثير_ وكنت تسميدًا متقوقًا من الظاهر ، خالفًا من الداخل .. هذا الانشغال الدائم بالمجهول . والمجهول كله محيف . هو الذي جعلني أتسلح دائما بشيء وليس من

الضرورى أن أحب ما أتسلح به ولكننى كنت كالذى يُحَافِ من البرد ــ ولا أزال ــ فيضع كل ما يصادفه من ملابس وأغطية . فلم أكن أعنى بقيمة هذه الملابس أو جالها أو تُمنها ـ إننى فقط أسد الباب فى وجه الربح . ـ

والذي كنت أفعله في البرد . كنت أفعله أيضا في القراءة والرغية في المعرفة , أزيد أن أحتمى في الكتاب وأتسبح بالمعرفة . . فقط المعرفة سلاح ولكن لم تكن متعة ولا لذة .

وكنت أسمع _ ولا أفهم _ أننا من الأشراف فجلتى لأمى صحب ضريح بزار _ بل في أسرتها أكتر من صريح وأكثر من ولى وأكثر من رجل صالح _ فهى من أسرة الباز في الدقهلية ودمياط . وفي الأعياد الدينية كان الناس يشيرون إلينا . على أننا متميزول عن الباس فنحن أشراف . وكان أجدادى لأبي من الأشراف أيضا . ومن الأولياء وهم يتحدرون من الإمام شدس الدين الشريني في مدينة شربين . ولم أكن أفهم معنى لشيء من ذلك .

ولا أسى يوم أخذنى والدى إلى مسجد فى أى حمص من محافظة البحيرة .
وكان إمام المسجد اسمه الشيخ روحه وقدمنى والدى مع كثير من الأعتراز وهو
يقول . ولدى صلاح _ وكان هذا هو اسمى فى ذلك الوقت ولكن أمى بعد
ذلك رفضت أن يكون لى اسمان _ ولدى صلاح هذا قد حفظ القرآن الكريم
والهمزية النبوية والبردة للبوصيرى وقرأ كتب أدب الدنيا والدين والسيرة النبوية
لابن هشام ودلائل الخيرات .

وكان رد الشيخ روحه : إن هذا من دلائل الخبرات ا

وأعجبني هذا المرد وحفظته على أنه أول مديح يلبغ . ولا أعرف بعد ذلك لماذا كان بعض الناس الطببين يطلبون منى أن أؤمهم في الصلاة وأنا صعير

ولكن عرفت فيها بعد أنبي أفضل منهم لأنني أحفظ القرآن الكريم

ولم أدرك فى ذلك الوقت إن كان هذا كل ما يسعدى , فلا أعرف فسة ما حصلت عليه , وإنما أنا طفل ذاكرته قوية . أو هو محب لوالده وسمع منه أجمل أنواع الكلام _ قرآنا وأحاديث تبوية وشعراً . وحفظ وراءه وأسعدته سعادة أبيه ,

وعندما سافرنا إلى طبطا . تسللت وحدى إلى جوار مسجد انسيد البدوى ووقفت أقرأ الفائحة . وأدعو الله أن يشقى والدى ووالدى . وأن أبجع فى مدرسة السيدة مباركة الأولية . وبعد أن فرغت من الدعاء اكتشفت أنى توجهت إلى محطة سكك حديد طبطا . فلم يكن هذا هو ضريح السيد البدوى . ورويت ما حدث . وضجك أنى وكان حريصا على أن يروى هذه النكتة لكل الناس . وكان الناس يطيبون خاطرى قائلين : ولكنك توجهت إلى الله . والله فى كل مكان ا

وق الهبابة كنت في المجمعية الإخوان المسلمين الله وكنت أمينا اللمكتبة وألقبت قصيدة آمام الشيخ حسن البنا . وكان رجلا طريفا لطيفا . وصفق لقصيلتي عن الهجرة النبوية . وطلب منى أن أذهب للقائه في المركز العام في الحلمية الجديدة . وذهبت ولم أستطع أن ألقاه . ولكنه نصحني بأن ألتق بواحد من الإحوان وأطلب إليه أن ينشر قصيدتي . وكنت سعيدا عندما ظفرت بالأخ وكانت جريدة الإحوان المسلمين القطع في الجوربال ديجيت . وظلمت حتى الصياح أنا وبعض الأصدقاء واقفين أمام باب الجريدة حتى صدرت . وقلبت في الصحيفة فلم أجد القصيدة . وكانت صدمة وخية أمل كبرى مع أن الأخ . قد وعدتي ، فكنف بخلف وعده ولا ينفذ أمر الشيخ حسن البنا .

و بعد أسابيع قليلة وجدت اسمى على بال مقر جمعية الإخوان المساسير بامبانة من المفصولين والذي يرجى آلا بترددوا على احمعية إطلاقا وكانت مفاحأة مفرعة وعرفت السبب فيها بعد عو أننا لا لؤدى الصلاة في أوقاتها ثم إنها استغل مكتبة الحسعية للملاكرة وسلمك الكهراه ولا بدفع الاشتراكات.

واتصل في أحد الإخواد المسلمين وقسمتي إلى موضف في شبكوريل وقال القد حدثته عنك كثيرا

ولم أسأله وما الذي قاله عنى . ودهبت إلى بيت الموظف الآخر . وكان يسكل في شارع محملة على . وهو يهودى . ويروج الماسونية في مصر . ودحب الحيث ، وكان نظيفا وقابلني مرحا . ولكن لم أجد هذا المرح على وحه أحد في الحيث ، وكان نظيفا وقابلني مرحا . ولكن لم أجد هذا المرح على وحه أحد في الحيث الا زوجته ولا أولاده ، وأعطاني معنى الكتب الفرنسية . وطلب مني أن أقلب فيها وقست ولم أفهم ، ولكن الذي يهوني حد في دلك الوقت الني وجدت الأول مرة في حياتي ، فاكهة جافة ، فاكهة مصبوعة من الحجر وملونة ، شيء عجيب . وهذا الشيء العجيب هو الذي ظلمت أحكيه أساس ومن العرب أن كل الذين حدثتهم عن هذه الفاكهة لم يندهشوا فقد وأوجا من قبل ، أوموجودة في يومهم وفقدت حماسي وطويت لساني تحت أساق ، وم أعد أنحلت عن هذه المعجزة ا

ولا أهمى أن هذا الشمع الذي وضعته في أمنى أو الدي كان في ألتنى قد متى في مكانه ولكه تحرك قليلا _ ولفة إلى أفلى يعض ما سمعت وما قرأت وما رأيت _ ولكن ما يزار الشمع في موضعه متيا صلما يضعب أن أخلعه .

وعسما عدنا إلى المنصورة كنت مهورا بإمام مسجد ،الحسية، صوت

غليظ أجشر واصع وكان فحم العارة فصبحا والناس تحينون من كل مكان ليستعود وكان اسمه الشيخ محدود ولا هرف لماذا بحرص الدس عادة على نشويه احسيل فقد همس في أدنى واحد من الناس وقاء الما أكبر حشش في مصورة . و

وقد أنه أقطعه يدهشتني قال العالم اللبية وأنت لؤاء هافي المطوح إ

ولم أنم فس ألا اداه جالسا على أحد الأصطح بضحت وينابل وكان من الصعب على مثل ق هده الس الصعيرة الرأضع الصورتين لواحدة إلى جوار الأخرى وأقبالها كيف بكون هذا الوجل المحرة ومسخرة في المس الوقت ؟ !

وعرفت أن حل الكيمة الكافرائكية يستعلون الظروف أيضا ععده:

تذهب قدة الإعتراف بحطراعا نسبي أنه نكشف لفسها وتتعرى أمام يسان .

كأى إنسان وألك أن صديقا كاثرليكية قال بن عندما نكتة نقول بن شابا دهب يعترف المسيس فحلس اداده وم ينطق حربة بدورا المسألة القيس حادا لك الأخراب الشاب الاخراء قال القسيس الذن لماذا حدث على صلة نعاه حداج القال القسيس الذن لماذا حدث على الله نعاه حداج القال القسيس الدن الماذا

- Y -
- ۔ هل آت علی صلة بنت روفانیل ا
 - 1/-
 - ے فل تعالیٰ بارملہ تنا یہ ا
 - 7 -

۔ اذار آنت علی صلة بحورجیت بنت صمویل ؟ ۔ لا

ـــ إِذَلَ لَمَانًا حِنْتَ إِنَى هَمَا ؟ قُلَ لَى لَمَانًا ؟ فقال الشّاب : أبدًا .. فقط لكي أحصل على هذه العناوين !

2 2 2

وفى مصر القديمة يوجد فى مكان واحد ٢٩ مسحدا و٢٠ كنيسة ومعبد واحد يهودى اسمه المعبد ابن غزرا ال ومن أهم كنائس مصر كنيسة أبى سيرجة . أو كنيسة الفديس سيرجيوس . وأهم ما فى هذه الكنيسة المغارة اللى اختفى فيها السيد المسيح مع أمه ويوسف النجار وبتى فى هذه المعارة ومعهم الاحارة الوهذه المغارة كانت رومائية .

والعجب أن الأسرة المقدسة عندما هربت من الرومان الذي هددوا بفتل كل طفل ذكر قد هربت إلى مغارة رومانية ـ وهوشى، بعيد الاحتمال . فلا أحد بنصور أن الهاربين من الرومان سيختفون في مغارة رومانية . وإن كان اليهود يقسرون دلك بأن الأسرة المقدسة وهي يهودية قد جاءت تحتني في منطقة مصر القديمة التي بها عدد كبير من العائلات اليهودية . والمغارة تحت الكنيسة وهي آيلة للسقوط مع الأسف ـ الكنيسة والمغارة وكانت مياه الفيضان تغطيها وكان الأصدقاء من الأجانب عنده برون المغارة يصرخون كيف تفعلون ذلك المصدقاء من الأجانب عنده برون المغارة يصرخون كيف تفعلون ذلك بأقدس أقداس المسيحية .

بل إن واحلنا منهم قال لى الماذا لم يهرب المسيح إلى أسبانيا أو إيطاليا الو فعل الرأيت كيف مجتفل العالم كله بهذه المغارة ا

وأثكر عندها سافرنا إلى أمريكا . دهينا إلى أحد مطاعم لوس أتجيلوس ـ

وعرفنا أن تحت المطعم يوجد نموذج هذه المغارة ، ونزلنا وقائلنا عدد من الرهبان والراهبات يرتدون ملابس اليهود في أيام المسيح . وكانت المغارة مكيفة الهوا، والضوء . وينبعث من كل جوانبها صوت رائع يردد الموعظة الأخيرة للمسيح . ولما عرفوا أننا من مصر ، اقترب مني واحد وبكل لهفة سألبي ؛ هل هذه المغارة تثلبه المغارة الموجودة في القاهرة ؟

ولم أقل ا بل هـ أروع وأجـل وإنما قلت : تماما وبمنتهى الدقة ولم أقل و لا ينقصها إلا شيء من ماء الفيضان ليجعلها نسخة واحدة من المغارة التي تركناها في القاهرة .

. وكانوا سعداء جدا تما قلت . وراحوا يهنئون أنفسهم على هذا التوفيق . وبين لحظة وأخرى يؤكدون لى : أل هذه شهادة يعتزون بها . تم طلبوا متى أن أكت. فى دفتر هذا الرأى . وكتبت والله يعلم أننى كاذب ا

وما أزال أطفو على وجه هده المقدسات أسبح فيها ولا أبيل . كأننى عطيت حسمى بطبقة من النويت حتى لا يلمس الماء جندى . لماذا ؛ لا أعرف . ولكنى ثم أتوقف عن «لتنقل من قداسة إلى قداسة .

وترددت كثيرا بعد ذلك على المعد اليهودي لابن عزرا وهو أيض في مصر الفديمة وعلى مسافة قريبة من كبيسة أني سرجة وعلى مسافة مثات الأمثار من مسجد عسرو بن العاص الذي غطته الأثرية والحجارة من الداخل ومن الحارج والمطريق إليه محقوف تيها بالبلاليص والقلل وشهالا بأكوام الزبالة .

ومعبد ابن عزرا فيه تحف لا نضير لها في العالم . ففيه التوراة القديمة . . وفيه التلسود . . وفيه ١١ لمنورة ، دات الشموع وفيه العبارات المأخوذة من التلمود والتي

تقول «حتى لوكات أبواب السماء مغلقة في وجه الصلوات ، فإن الدموع تفتح كل الأحواب»

وكان اليهود يعيشون فى الجيزة أياء السي موسى ويسمونها أرض جوش وكانوا يتقلون إلى مصر القديمة ... وق كنيسة ابن عزرا تجاء تحف أثرية تقدر بملابين الجنبهات فضها تحف فضية . وفيه مخطوطات عادرة

ودرست التوراة والتلمود _ يعض مئات الصفحات من التلمود _ وأعجبني من التوراة عدد من الأسفار مئل : المرامير وبشيد الإنشاد وأرب وأشعباء _

وظل عدد المتردوي على هذا المعبد يخلطون بن اسمى واسم رجل آخر له الهمر الاسم وهو يهردى . وكانت روجته اسمها حوس مصور صاحبة ديوال وصرخات، وكانت ابنة اداود عدس وعرفوا فيها أثنا اثنان تحمل اسما واحما . وانقطعت عن المتردد على المعمد . ولم أعرف فيها بعد أنهم كالوا بعرفون أننا اثنان . ولكن لم بهتم أحد كنزا بترددى على المعبد أو حرصى على الفهم ... وعدات إلى المعبد بعد ذلك موات كثيرة مع أساتلدة المعات الشرقية والمستشرفين من أمثال باور كراوس الذي سافر إلى الجامعة العيرية في القدام وعاد ومعه مخطوطات نادرة وحاول مقابله د طه حسين وكان في دلك الموقت وزيرا للمعارف . وضافي باول كراوس بالمعاملة غير الكريمة وشتق لقده .

ومنعبی احیاء أن أقول إنه استعار كتبا من مكنة الحامعة یاسمی وأله م پردها بعد ذلك ا

وسافرت أرملته إلى إسرائيل وتروحت مستشرق آخر هو سانومون بيس الذي ألف كتابا بعوان «نظرية الحوم الفرد في الإملام، وترجمه إلى العربية د عبد اهادي أبو ريدة اأستاد الفسفة الإسلامية في جامعة الكويث.

وفى سنة ١٩٥٥ كنت عضوا ضمن وفد مصر فى «مؤتمر الحريجين» الذى انعقد فى انقدس وكان يرأس هذا المؤتمر المليونير اللبنانى اميل البسنانى واستطاع الوفد المصرى أن ينحى أميل البستانى عن الرياسة وأن ينتخب الحميع د فؤاد جلال .

وفى يوم الجمعة ذهبنا للصلاة فى المسجد الأقصى وكان الإمام والخطيب هو الشيخ الباقورى وخرجنا من الصلاة ولم نجد احذيتنا ضاعت أو ضللة الطريق إليها وذهبت حافيا إلى الفندق ورأيدا الصخرة وفية الصخرة .

ودهبت مع الشيخ الباقورى والدكاترة عزيز صادق وحسين مؤلس وراشاء البراوى ووزير الخارجية المرحوم قدرى طوقان إلى زيارة حائط المبكى .. وهو الحائط الغربي من معبد سبهال الذي الهدم أكثر من مرة . الحائط ليس عالباً . ولكنه في حارة ضبقة وقد ثبت عليه الأعشاب .

وبين الأحجار نوجد أوراق . سحبت ورقة فوجدتها بالعبرية . وعرفت أن البهود عندما بزورون حالط المبكى يبكون ويصرخون ويطلبون من ربهم الحلاص والعودة وأذكر أتنى وضعت في وحالط المبكى : ورقة أضحكت الأستاذ الباقوري والآخرين .. وكانت هذه الورقة تضم أباتا للشاع عبد الحميد الديب والتي يقول فيها :

كأنني حائط كنبوا عليه

إنى آخر الكلمات التي لا يليق ذكرها أو تشرها .

ولم يعجبني هذا التصرف. فقد وفقت إنى جوار الحائط التي يشتهني ملابين اليهود أن يلمسوه. وعندما استولوا على القدس في يونيو سنة ١٩٦٧ أسرعت

القوات اليهودية إلى تقبيل الأحجار والبكاء عندها كما أنهم هدموا كل البوت القرابة من «حائط المبكى» تما فيها ببوت أسرة ياسر عرفات. وجعوا أمامها ميدانا فسيحا. وقسموا الحائط إلى ثلاثة أقسام. فسم لصلاة الرجال وقسم لصلاة الساء والقسم الثالث لرجال الدبن يقرأون ويتأملون.

وعلى الرغم من أن رئيس إسرائيل زلمان شازار ملحد في ذلك الوقت . وموشى ديان متحد . فإنهما قبلا أحجار حائط المبكى !

وفى بيت لحم زرت كنيسة المهد. وقد تقسمت الكنيسة من الداخل إلى قطاعات لكل فئة من فئات المسيحية . وهناك رأيت المزود الذي ولد فيه السيد المسيح . ورأيت مكان النخلة والتي تحدث عنها القرآن الكريم وهو يتوجه إلى مريم عسيها السلام : اوهزي إليك عِذْع النخلة نساقط عليك رطبا جنيا

وقبل ذهابي إلى كنيسة القيامة دعاني الصديقان بوسف البندة ومازن البندك الى الغداء وصعدت إلى بيتهما وتغدينا وصحكنا وقلنا ما يقال وما لا يفال وبعد ذلك نزلت لأجد أن كبيسة المهد ملحقة بنفس البيت وأننا كنا فوق الكيسة وأن أسرة البندك علك هذه الكيسة أيضا . كيف نفعل ما فعل فوق هذا الأثر المقدس . ونكني كنت وحدى الذي أصابه الفرع أما الآخرون فعد اعتادوا على رؤية ما هو مقدس . فجاءت هذه العادة نجرد كل شي، من قداسته والمثل يقول : بدهب إلى الصلاة متأخرا من يسكن إلى جواز الجامع ا

ومشيت في طريق الآلام الدي سار فيه السياد المسبح بحمل صليبه والرومان. يضربونه والمهود وزأيت الجسمانية خيث تناول المسبح عشاءه الأخبر والذي

أو لا يذهب لأنه اعتاد على الصلاة والقراءة والأذَّان ﴿ أَوْ ضَاقَ جَا

خانه فيه أحد تلامدته ﴿ يهوفَا الأسخروطي ، وباعه للرومان بقروش قليلة .

وقد حاول اليهود بعد ذلك عندما أنتجوا فيلم «بن هور » من تأليف اخترال اليهودى وليامسون أن يبينوا أن اليهود لم يضربوا المسيح ولكهم الرومان. فظهر فى هذا الفيلم الأمير بن هور وهو حزير على المسيح وبحاول أن محمل عنه صبيبه ولكن الجنود رفصوا ـ وهذه أكذوبة طبع ـ ومن أجل هذه اللحظة الكاذبة أنفق اليهود ملاين الدولارات ا

ووقف أحد القساوسة يقرأ بصوت حزين الموعظة الأخيرة للمسبح الراد صوته وعباراته تمزق القلب للوتذكرني نما فعله أبو بكر عندما سمع الرسول عليه السلام وهو يتلو الآية التي تزلت عليه للداليوم أكمت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا الله وبكي أبو بكر وعرف أن هذه هي النهاية !

وعندما دهبت لمربارة الفاتيكان كان في دهني أنبي أمام تحقة معهارية ولوحات دائعة على الجدران وأمام أعظم مكتبة في العالم وأحظر مكتبة سرية أيضا . وأن الفاتيكان أغنى دونة وأقدم دونة قد استطاعت أن تقاوم كل الأحداث وتبقى كم هي يلا جيوش وها أموال في كل بنوك الدنيا وأن اللايل يستشمرون أموالهم هم أصحاب الملايين من اليهود وتخلت إلى كتبسة القديس بطرس والمذي هرب من روما خوفا من طرس إمها تحفة فنبة . والقديس بطرس هو الذي هرب من روما خوفا من الاضطهاد . فلقيم المسيح في الطريق . قسأله القديس بطرس باللاتينية :

فقال له المسيح : حثت لأصلب من جديد ا

وأدرك القديس بولس أن السبح يقول له : ١١له سوف يصل مرة أخرى في جسم تسبقه يطرس ٢

وعاد القديس بطرس إلى وه، ليكون من الشهداء . فقد صبعه الرومان بعد ذلك وقت قصير .

وضعن وقاد من القداومة الصغار دحت كتيمة الفديس طرس ووضعت طاقية على وأسى . وتشاء الصلف أن بمر إلى جوازى الباب بوحنا انتالت والعشرون محمولاً على محفته المذهبية . ويضع يده على وأسى ويمسك الطاقبة ويموق حاليا منها ثم يضعها على وأسى عد ذلك ؟ ولم أفهم ومن المخرب أنني في أسأل أحدا عن معى ذلك . وعدما حرجت من الكتيمة انهال على وأسى عشرات من الوافقين خارج الكتيمة . والمحتقت الطاقية فطعا صغيرة في عشرات من الوافقين خارج الكتيمة . والمحتقت الطاقية فطعا صغيرة في أيديه حلى مهيل المركة . وعناده وويت هذه القصة على ظهر الباخرة أمسيريا عائدا إلى مصر تهجمت على وأسى عشرات الأمهات يقبل مكان البركة !

وفى الهذاء رأيت معامد فشاء وشيها ورايت الألفار المقدسة التي إذا نامت فى الطريق توقف المروز تماما ، وابنى إذا دخلت محلا فإن أحدا لا يقرمها أو إذا أواد أن يخرجها فإنه يصرح حوفا ولا يلمسها ، وقد اعتادت هذه البقرة من ألوف المستن على هذا الاحترام والتقديس

لَدَلَكَ فَهِي آمَنَةً فَي كُلَّ مَا تَفْعُهُ . فَهِي تَعَشَّى وَتُمُونَ وَلاَ يَشْعُهَا أَحَدَ , التُبِرَانُ فَقُطُ هِي النِّي يَذْجُونُهُ ﴿ وَرَآيَتُ القَرُودُ الْمُقَاسَةُ وَالتَّعَابِينَ مَقَاسَةً والحشراتُ المقدسة ورآيت السلام والأَمَانُ فِي أَهْلِ ضَدَ

وعنامه فاهمت نقابلة الدلاي لاما . إله النبت وكان ها با من بلاده أمام قوات الصني وكان في ذلك الوهت يعيش في جيال الهنملايا . وق

الطريق إليه مررت على حديقة اسمه الحديقة المقدسة كل اشجارتها مقدسة الموقع الاقتراب سلم وحساوى على محطة إلى قداسة الدلاى لامل وكان يتولى الترجمه رئيس ورراء الدلاى لامل وهو يتكلم الفرسية بطلاقة وأكرمي الدلاى لاما وأجسني إلى حواره على مدى شير من ألقه الذي يخر ويشر وطبيعي أنه يصبني الزكم المقدس وأن ألعن أجداده في سرى ولكن إنحساسي بأنثى الوحيد الدي قامه وصوره هو وأمه وورراءه . حقف عنى وبلات الرشح والسعال بل إلى بعض الوزراء حسدتي على مد أصابتي . وقال في يا خف المنابق . وقال في يا خف المنابق . وقال في يا خف المنابق على مد أصابتي . وقال في يا خف المنابق الواسعال المقدس والرشح الأشتى ا

إله إله المتبت بختارونه بالصدفة وجعبونه مقدسا وعندما يبلغ التالئة والعشرين من عمره يخفونه أو نفتنونه فهو الوحيد في العالم الدى يعرف منى سيموت والمدلك فحياته تعبمة وسألنى رجاله . إن كنت قد أحسست بشيء من البركة . فقت طبعا .

وبعتر الله أنني كادب

واستوضيحول أكبر فقلت الها الدم يعلى ق عروق .. وإن الفوى الشيطانية خرج أضافرها من كل مكان في جسمي .. وإن ورن سوف ينفص حالا الأن الماء يترك من أنبي باستمرار

ولم أكن كاذرا فقد التقلت إلى كل أعراض الأنفلونزا الإلهية جرعة أعرفها - وأعلى منها . ولا أزال . وسوف أظل مدى اخياة !

وأحست أن السُمع قد مد أدنى تماماً وأنه بدأ يُشقل إلى عبي ابصا ياه واحد عياد وإله في تصن الوقت !

وق حريرة بالى المدويسيا قدمت نصنى على آبى من رحال الأرهر التريف ولم أدرك حصورة هذه الكلهات فقد تصحولى بألا أقول إلى صحلى. فهامه مهنة لا فيمة ها ولا تعنى شيئا بالسبة لمماس هناك.

ولكن إذ أردت أن أكون محترما فلابد أن أكون من رجال الدين وقلته وف الليل جامل عدد من الحضارمة وهم الرع تجار آسيا وهم الدّبن تقلوا الإسلام إلى ١٣٠ مبيونا في أندويسيا . ومائة مليون في الصين ومائة معيون في الحد و ١٣٠ مبيونا في اكستان

وتقدم واحد مهم ليقون ا باشيخ .

فلت : م

ـ لوفا لا تصلى معنا المزاويع ا

_ طبعاً إن شاء الله _

وكان قلك في رمضان وم يعض على الداؤم كال عنولاً، المؤمنين مقلب وفضيعة لي لاشك .

ولكن م أعرف ثامنا اكتفوا بأن أؤمهم في صلاة العند، الله أعلمي.
ولكن بعد ساعة حلسا معا . عني أرض المسجد وسألوق عن المشير
عدد الحكيم عامر . وسألون عن حمال سام الذي دهب إلى الصين . وأتحطر
من دلك سألون عن معنى قوله تعانى . النجم الناف

وقام انهم أرسلوا إلى آحد العلماء في سلعافورة . وقاد أرسو لهم الشرح وقرأوه . ووجدت الشرح معقولاً . وسأليل ما علاقة عدد الآية بأول رائد المنفساء اطلقه الروس ٢.

ولا أذكر الآن ماذا قلته إطلافاً . فلا أنا من رجال الدين ولا أنا من المتفقهين في الدين ونست مؤهلا لأن أكون إماما وشارحاً ـ فليسـعني الله ٢

وعندما علت إلى جاكارتا طلب منى در محمد مجمود رضوان. مستشارتا الثقاق فى ذلك الوقت أن أحضر امتحان الطلبة المسافرين إلى مصر ليلحقوا بالأزهر.

وجلت وسأل اللكتور رصوان أحدهم : هل تحفظ القرآن الكريم . قبل له : عمر .

_ اقرأ سورة النحل .

فقرأ الطاب

وسأله ﴿ هَلَ تَحْفَظُ الْأَحَادَاتِ النَّبُولِةُ ﴾

lever -

_ قل لی بعصها .

وروى الطالب بعض الأحاديث

مُّم سأله : هل تحفظ شبُّ من التواشيح اللديبية ×

· 1 -

- اسمعنى

حاصر ٥ ٪ ٦ بتلاتين يوم. ألو ألو إحما هنا.. وتحجنا أهه في المدرسة...

ولم يعرف الطالب أنه يردد بعض أغنيات شادية . ولكنهم بعقدون أن كل ما تذبعه مصر التي بها الأزهر الشريف . هو نواشيح وأغان مقدسة . ولدلك هارفانة تحذف الرقص من الأفلام المصرية .

بل إن فيلم خالد بن الوليد عندما غرض هناك كالوا يدخلون السينما بعد أن يخلعوا الحذاء !

ولما ذهب شيخ الأزهر الأستاذ تاح . كانوا يقبلون السيارة التي يركبها .
واندهشوا وما زالوا مندهشين ، عندها وجدوا بعض رجال الدين المصريين قد
ناموا أثناء جلوسهم معهم . وأن لومهم كان مسموعا صارخا . لأن هانا
نجالف الآية الكريمة التي تقول : «تتحافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون .

وفى باديس دعاى إمام المسجد سي قدور بن غبريط إلى صلاة العيد. ودخلت واكتشفت أن بعض السياح الإمريكان والإيطاليين وبعض الفرنسيين قد تسللوا يتفرجون على أثاس يركعون ويسجدون ويكبرون. ولا يفهمون شدا .

بل إن واحدًا منهم قد وضع يديه في جيوبه وسيجارته في فه . بهض أحدمًا ونبهه إلى ذلك . فأطفأ السيجارة وأخرج يديه وجلس على الأرض . وزاح يقلب في إحلت المحلات . إنه هو أيضًا ملأ أذنبه بالنسع . فلاشي يسمعه . والدي يسمعه لا بهزه . فهو لا يعرف من أمر هؤلاء المسلمين شبئا . ولا يهمه أن يعرف . وإذا أراد فلا وقت . وإذا كان وقت فلا فائدة . فهو مسجى والسلام !

وفى العراق زرت النجف وكويلاء .. وهذا أقدس قداسات الشبعة . فعلى بن أبي طالب عبيه السلام قتل وأولاده من بعده .. وارتدى الناس السواء حدادا على ذلك . وارتدى رجال الدين انسواد أيضا . والمساجد فى غابة الروعة . وتحت قبابها أكوام من الأحجار الكريمة جاءت من كل

مكان . وروائح البخور والعطور نتبعث من أرض المساحد ..

وارض النجف والكربلاء ظهور. ويصنعون منه المساح. ونجى، الشيعة من إيوان حفاة وعراة. ونجيئون بالسجاجيد الفاخرة بيعونها ليعيشوا من غنها. ورغم الحلاقات الحادة بين إيران والعراق. ولكن لاحياة روحية بلشيعة بعير زيارة الأياضي المقدسة في النجف وكربلا، وقد حذرون إذا دحلت المسجد وصليت ألا أضع يمنى مضمومتين على صدرى. فإن أهل السنة هم النبي يفعلون ذلك. وبالفعل امتدت بد من جوارى تفك بدى .. فقد نسبت بفعلون ذلك . وبالفعل امتدت بد من جوارى تفك بدى .. فقد نسبت بوقيل إنتي لو فعلت ذلك في مسجد آخر لطردوني من المسجد . وأعتقد أن هذه مبالغات وتشويه لعادات وتقاليد الشيعة إ

ونحى فى مصر لا تعرف هذه الفوارق المذهبية بين الشيعة والسنة ..
قالمصر بون المسلمون من أهل السنة ومع ذلك يقيمون صلوات الأعياد ومولد
النبى ورمضان كله فى مسجد الحسين .. ويترددون على مسجد السيدة زينب
والسيدة فاطمة والسيدة نفيسة . ولا يخطر على بال أحد ما علاقة كل هؤلاء
الأولياء بعلى والشبعة ؟

وفى طهران ذهبت أنفرج على معبد النار أو النور .. المعبد عرفة واحدة . وقى منتصف الغرفة غرفة زجاجية فى داخلها فنديل مشتعل . والفنديل يستمد طاقته من الريت . ومفروض أن هذا الفنديل لا ينطفئ أبدا ، مثل شعلة الجندى المجهول .

وعلى المؤمن أن يجلس على مقعد وأن يظل ينظر إلى هذا القناديل ويتفكر في الكون ، فكل شيء فيه لوز وناز والله هو هذا النوز وهذه النار , ولبسر

القنديل إلا يموا للفلك . ومادام الإنسان غير قادر على أنَّ برق الله مباشرة . فلينظر إلى ما مرمز له .

والقنديل صنعه إسان وقدم له الزيت إنسان . وتجلس أمامه إنسان في حالة ذهول .. فتي هذا القنديل تنجلي قدرة الله

وجاءن رحل الدين وفد نتزل من سيارة فخسة . وقد الزندي الهجاما والشيشب . وفى مكان محاور نوحه إداره المعد . ومثها تتعالى ضحكات ناعمة . واقتربت لأرى أربع فتيات جميلات جنا يعمل الورق إ

وبالقرب من هذا المعند محلات بيع صور للنبي عليه السلام ولعلى بن أبي طالب. والصورة مصنوعة في النابات. إنها أملته إلى اليسار رأت وجه الرسول. وإذا أملتها إلى ابهين رأت وجه على .. وبوحات كبيرة حائطية لصورة الرسول والإمام على كيف؟ هنا ممكن إ

وفى طوكيو رأيت المعايد الكبرى هباك ... وفيها نيران مشتعلة ليلا ونهارا .. ورأيت عددا من المعابد السيطة التي تتعلق في مداحلها مقشات . ومفروض أن يهز الإنسان هذه المقشة . فتكسى خطاياه . واليانانيون يفعلون ذلك في المذهاب والإياب ...

والرجل الباباتي من مسكن أن يعتنى دينين وثلاثة أدياك في وقت واحد , مبكون بولها وشنتويا أو كلفوشيا وشنتويا ومسيحيا وبيس ذلك عربيا _ ولكنه طبيعي جدا في البابان

والبانانيون عمليون جدا . وعندهم هذه العبقرية على توطير كل شيء وإعطائه الذوق البابني . فبدلا من أن يدهب كل البانانين إني المعابد . فإنهم

يقيمون لأنفسهم معابد في البيت .. نماذج صغيرة لهذه المعابد معابد توانزستود . ويصلون أمام هذه المعابد وتجرجون وقد أدوا ما وجب عليهم تحو رجم !

ولو مقط هذا المعبد الصغير لأى سب ، فإن الرجل الياباني يشتري معبدا آخر ويضعه في نفس المكان ، نماماكما بضع مسهارا في حافظ ، أو يضع نوحة بدلا من لوحة ، فهو يعلم أن كل هذه رموز فهو لا يضلي للمعبد ، ولكن ينتهل أمامه هو وأهل بيته ، فالمعبد الصغير يوحد بين أفراد الأسرة ؛ يوحد اتجاههم وصلاتهم !

وأجمل ما فرأت في كتاب «القيدا» دعامة الديانة الهندوكية هذه العبارة أباكانت وجهتك ، أباكانت قبلتك ، أباكان وثبك ومعبودك فأما اللح أستجيب لدعائك ، إلني وراء كل شيء ، ووراء كل رمز ا

\$ 35 H

وفى مذينة هوليود كنت على موعد مع الملكة ناولى. فقد تلقيت يرقية من المأخبار البوم، تطلب متى أن ألتتى بالملكة نازنى وأجرى معها حديثا، وفابلت رياض غالى ممزق الملابس رياض غالى ممزق الملابس حزبنا.

ولم يفهم لماذا هو حارج مصر مع أله لم يفعل أكثر من تمرده على الملك قاروق وهر أركاك الأسرة الملكبة وحطم قلب الملك فاروق

وهو لذلك لا يستحق الطود من مصر , وطلب منى أن أعده شرق الا
 أكتب حرفا واحدا عنه أو عن الملكة نازلى , ووعدته , وقال إنه لبس في حالة

تسمح له بالدفاع عن تفسه إذا قلت عنه أي شيء. ومعه حق وم أكتب حرق

> وسألنى - هل نعب أن ترى شيئا هند فلت أربد أن أين سينه المصرى . وسألته . ومن هو المصرى

وه بعرف رياض عالى. وأبه لم يفكر في دلك .

واجم المصرى الحالم ليس مقصودا به مواطنا مصريا وإنما المقصود هو موسى علمه انسلام لأبه مصرى وصاحب السبى يهودي. وفي هوليود كل الشركات السبهائية بهودية قالشركة متروب حولدين ماير، هؤلاء الثلاثة يهود. وإحواد وادبر، تلاخهم يهود أيف

وكان من الضرورى أن أتعرج على أحد المعابد اليهودية ووجدت واحدا وعرفت أن في هوليود معابد كثيرة وق أمريكا كلها مئات ولم أحد شحاعتى عندها قربت أن أدخل أحد المعابد. على أمريكا بنع الإنسان بأبه صغير فهو قليل في دولة تجيرة ومواصوها أكثر من ١٥٠ ميونا والناس بينشون بسرعة ولا يشعرون على ولا يعرفون من أى البلاد أنت وهم بنظروت إلى بلادك على الحريطة فيجدونها مساحة صغيرة ... ثم يحدونك أنت من الفقراء تمشى على رجلبك ولا عندك سيارة ولا طباءة ولا مرزعة ولا أنت من الخويت أو عددة أو محافظ أو عضو في محلس الشيوح .. ثم إنك المت من شيوح الكويت أو أمراء السعودية يعيى أنت ولا حاجة ا

ومهما الشعور عاهوات اللتي لا منزر له . انتزعت كبريال وشجاعتي ودخلت المعبد. ووجدت عند «قدمن الألفداس» محموعة من الطواق.

قوضعت واحدة على رأسي وقايلي اخاخام وسألني: من مصر؟!

وأدهشني ذلك . ثم راح يكلمني باللغة العربية . فهو لم ينتظر أن أجب تأنثي من مصر أو من أي عد آخركأن أقول : إيطاليا . أسباليا من مراكش .

> وسألنى: هن قابلت أحدًا من اليهود هنا ! .. قلت لا 1 قاع !

لأتك الت ق حاجة إلى البحث عنهم. إنهم هنا في كل مكان أبن
 شكن ؟

_ في فندق روزقلت

_ أصحابه من البود

_ وأين تتناول عشاءك

- في شارع عروب الشمس (صنت بوليفار).

_کله من ابہود

_ وفالما الدواء ضاء الزكام من أبي ا

ـ من أحزاحالة فيناس للجميع .

_ إنه ملك أخي إ

- كم تبق هذ

Jak -

- وتسافر إلى نبويورك على أية طائرة

ـ على طائرة يهودية طبعا

- العبقاء -

- كنت أريد أن أتفرج على هذا المعبد

- إنه متواضع جدًا . عندكم في مصر القديمة معبد ابن عزرا _ تحفة حاولنا شراء ما قيه . ولكن لم نستطع .

+ BL _

- ـ هل تغضب لو قلت لك الحقيقة ؟
 - ـ الحقيقة لا تغضب أحدا
- لاأوافقك على ذلك .. ولكن سوف أقول لك إننا فكولما كثيرا .
 وأخيرا استقر رأينا على أنه لا داعى لنفلها من مصر مادمنا سعود إليها
 وتضايقت جلما وقلت له عن على استعداد لأن ننقل إليكم هذه
 التحف حتى لا نراكم بعد ذلك .
 - ــ وبعد ذلك تريد أن نتفرج على المعيد .
 - ـ رغم لالك أريد أن أعرف .
- أنت من طواز نادر . تستطيع أن تدوس على نفسك من أجل أن تعوف
 تعرف
 - ـ أحاول أن أفعل ذلك الآن ..

ولا أطن أسى رأيت بوضوح أو فهمت ما قاله الحاخام بعد ذلك ، ولكن حاولت أن أثبت له أن الذي قاله لاقيمة له ، وأنه حاول إغضابي لعلى لا أكمل الحديث معه ، أو لعلى أخرج دون أن أرى أو أعرف .

وعندما ودعمى عند باب المعبد قال - لم تضع وقتك . وإن كنت قد غضبت من هذه الصراحة .

ـ وقاحة لا صراحة إ

وسأتنى رياض غالى : إن كنت قد استمنعت عا رأيت . فقلت : بما

رأيت نعم ، ولكن إنا سمعت لا إ

ويبدو أنه كان يتوقع شيئا من ذلك , ولم يشأ أن يصدنى عن مزيد من وقة !

华 经 强

ونم أزر مسجد السيدة زينب ومسجد الحسين إلا مبد عامين فقط الحفد كانت أمى مويضة . وتصورت أن هذه الزيارة ستخفف عنها وبلاتها .

وذهبت ودعوت ونذرت, وحاء أمر الله واستراحت أمى مل حيانها. وتخرمها الله وضرفها, وأعربها على مرضها بالدواء والعلاج.. وكان الإغماء الطويل مقدمة للواحة الكبرى فمانت وهي لا تعرف إلا أنها زائمة إ

وفی امیانهٔ مسجد آمام نادی بنک مصر، اسمه مسجد الشیخ أبو طرطور. وکثیر من المناس ینبوک بهذا الرجل انجهول . وترددت علیه گذیرا . ووقفت إلی جواره وقرأت ودعوت . واستجاب الله لکثیر مما طلبت _ والله أعلم کیف ۴

وصبقنى الأصافاء إلى كنيسة القاديسة تريزا بشبرا وألوف المسيحيين والمسلمين بشيركون بها ويندرون ها ويستجب الله لمعواته والاعرف كيف اودهبت إلى كنيسة القاديسة تريزا وتفرجت على الناس واستحضرت روحها الصافية وعلما بها وهوانها على الناس ، وإيمانها العسيل ، ورأيت تلورا بأسماء عدد كبير من المسلمين . وهذا طبيعى . قصاحب الحاجة أو المشكلة بريد أن يجد فا حلا عند أي إلسان أو في أي مكان . والله في كل مكان ، والله يودع سره وقادرته في قلوب كثير من المؤمنين .

وفى سنغافورة دخلت أحد المعابد الصبنية . لاأعرف الفرق الواضح بين المعبد الكونفوشي والمعبد البوذي . فهناك تقوش ونماثيل وبخور وعطور

وأضواء. وسألتي أحد رجال الدين ؛ هل لك شكوي ؟

لم أفهم وسألته : ما الذي يقصده ؛

فقال ، هل لك شكوى من ألم في جسمك

قلت : أخاف من البرد . فإذا أصابني أقام في جسمي طويلا . قال : إدن امش وزائي .

ومشیت وراءه ، وکلما اقترب من نهایة المعبد وأمام تمثال کبیر سودا لمس کتنی : ثَمَّ عاد فلمس رکبتی : ثم عاد فسح علی رأسی

وسألني : هل ضاع منك شيء ا؟

فأدهشني اسؤاد فقلت : فعلا ضاع مني آكثر من ٣٠٠ جنيه سألن كف ؟

قلت ؛ لقد ألغى سركارتو العملات من فنة الماثة روبية ، وكانت كل قلوسي من هذه الفئة ، فني لحظة واحدة لم أعد أملك إلا القليل جدا

فقال: لن أرد إليك كل هذه الأموال وإثما يعضها فقط. مائة جنيه فقط

1 00 -

هذا شأنى , فإذا عادت إليك أرحو أن تمر على المعبد موة لتحبرى بدلك وتضع جزءا سها في صندوق النبرغات

وخرحت شاكرا ولا أصلـق شيثا مما يقول.

ولكن العجب حقاً أنني لم أعد أشكو من أوجاع البرد إطلاقاً وبيس هذا وهما ولكم الحقيقة ثم إنني وجدت في حافظة نقودي ما يعادل مائة جنيه الاأعرف من أبن جاءت ودهبت إليه أشكره فأحنى رأت كأنه

يعرف علم أشار إلى صندوق النبرعات وأعجب ما حدث هو أننى اكتشفت بعد أن حرحت من المعبد أننى ـ دون وعى ـ قد أودعت كل الفنوس التى عثرت عليها فى حافظة نقودى !

ولم أذهب للرجل بعد ذلك !

2 2 2

 ورأیت عدد کبیرا من بیوت ومقابر العظماء الدین أحترمهم . فقد قرأت لهم وأحنیت رأسی لهم ..

رأيت قبر نابيلون في باريس . القبر تحت والناس بنظرون إليه من فوق . والحكمة في ذلك : أن بجني الناس رءوسهم إذا نظروا إلى قبر عبقرى الحروب والسياسة والغرام والقالون

ورأيت فير الشاعر دانئي في مدينة فلورنسا وقيره عبارة عن غرفة حالفة . ولكثرة الزجام عليها أصبحت روائحها كريهة . لعل الذي صمم هذا القبر أراد أن يذكرنا بالجحيم الذي كتبه دانتي .

وكان يرافقنى د . حسن عثان الذي ترجم الكومبديا المقاسة لذانتى بأقسامها الثلاثة : الجحيم والمطهر والفردوس . وطلبت إنيه أن بشرح لى شيئا . أن يحدثنى عن الشاعر ونعبت فى الرجاء . فجاء رفضه جزءا آخر من الجحيم ا

ورأيت بيت الشاعر الألمانى جيته فى مدينة فرالكفورت على نهر المين. ورأيت أين يكتب , أو على الأصبح أين يقف ليكتب , فلم يكن يكتب إلا وافقا . وأين يأكل وأين ينام . وكان يرافقنى د , مراد كامل أستاذ اللغات الشرقية واللدى يتكلم عشرين لغة . من بيها الأرامية والأكادية والعبرية

واحبشية والحيثية والفيطية النخ. ولم يكن د. مراد كامل متحمسا لهذا الاحترام الهائل اللذي أكنه لأمير شعراء ألمانيا. وكان العقاد يقول إن الشاعر جيته ليس إنسانيا. فعندما كان وزيرا للمعارف في إمارة فيهار قصل الفيدوف فختة من عمله ، لأنه خالفه في الرأي .

ولكنى كنت مهورا بما أراه وما أسمعه عن شاعر عظيم أحببت فنه . ولم أحب أخلاقياته . وقرأت أجمل ما قبل عنه فى كتاب ه محاورات أكرمان ا التى سجلها سكرتيره أكرمان . . فأجاب جينه عن ألوف القضايا فى غاية الوضوح والفخامة والعمق .

وفى مدينة تبنجين زرت البيت الذي عاش ومات فيه الشاعر الألمانى هيلدران . عاش تُمالين عاما ، نصفها في مستشعى الأمراض العقلية .

وكان يرافقني د. عبد العزيز حجازى وعندما وقفنا عند البيت خرجت سيدة وفى يدها سلة للغسيل. ولم أصدق أن هذا بيت الشاعر العظيم الذي بعنبر من أروع شعراء ألمانيا. والدى ألف ملحمة هيبريون، تحفة الأدب الألماني في كل العصور.

ويبدو أننا وصلنا متأخرين بعض الوقت , ولكن السيدة أشارت بيدها إلى غرفة على اليسار وقالت : هنا كان سريره , ونافذته التي تطل على نهر السالزاخ , وهناك على الضفة الأخرى وحديقة التأوهات ، .

ودهبنا إلى البيت الذي كان يسكنه الفيلسوف هيجل أبو المثالية الألمانية والذي تمرد عليه كارل ماركس فاستفاد من فلسفته كلها . واستخدم مصطفحاته وفلسفته التاريخية . ونكن كارل ماركس يقول : إن هيجل جعل الفلسفة كلها تمشى على رأسها فأما أنا فقد أوقفتها على رجليها ا

وجاء الفيلسوف آندتمركى الوجودى سيرن كركجور وثار على الفيلسوف هيجل واستخدم مصطلحاته كلها وجعلها سهاما سسومة استقرت فى قلب الفلسفة المثالية ..

وأعترف بأن رأسي اهتركثيرا ، وأن أكثر الشمع قد ذاب ق أذني فسدهما تماما .. ثم بدأ يدوب خارجاً من أذني . فأذا أشعر بأن هؤلاء العظماء شر. لهم وجود وهم كتب ولهم نظرات وآلام . وأنهم فكروا وتعدبوا وأنوا بشيء جديد .. أعرفه جيدا . ولذلك أقدرهم تقديرا عاليا .

0 0 0

وفى مدينة تابلى ذهبت إلى اللواء حسنى نجيب لزيارة بيت الفيسوف الإيطالى بندتو كروتشة . الرجل الدى عرض عليه أن يكون أول رئيس لجمهوزية إيطاليا بعد سقوط الملكية فرفض.

كما رفض العالم الرياضي اينشتين أن يكون رئيسا لإسرائيل .. وكما رفض لطفي السيد أن يكون أول رئيس خمهورية مصر .. وكان كروتشة قد مات وأردت أن أرى بيته ومكتبته وابنتيه ورأيت المكتبة ورأيت ابنتيه وقلت لها إن بعض مؤلفات الفيسوف العظم قد ترجمت في مصر . إن واحدا من كتبه واحمه الخلاصة الجالبة القد ترجمه اثنان من الأصدقاء هما در صامي الدروي ود , بديع الكسم ...

وقلت : إنبي أيضا ترجمت فصولاً من كتابه االتاريخ قصة الحرية وأهدتني إحدى بنانه كتابه عن اعلم الجال، وكانت عندى نسخة من هدا الكتاب . ولكن أحسبت أتني ألحدت الدنيا كلها . وظل هذا الكتاب

لأأفتحه ولاأقلب فيه .. احتراما وإعجاء بصاحبه !

وفى سالزيورج باتمسا زرت البيت الذي ولد فيه الموسيقار المعجزة موتسارت. وصعدت الدرج، ورأيت الغرف الصغيرة وأوانى الطبخ النحاسية.. والبيانو الصغير. وخصلة من شعره..

ولما ذهبت إلى قيبنا ورأيت مقبرته .. أو يقال إنها مقبرته .. وعرفت أن زوجته لم تسرق حنازته . وقبل فى ذلك الوقت إنها مريضة . وقبل إنهاكانت تخونه .. وصدر حديثا جدا كتاب يبرئ هذه الزوجة . فقد اكتشف أحد عدماء الأرصاد أن الجويوم وفاة موشمارت كان عاصفا رعديا وكانت الأمطار غزيرة حتى أن أحدا لم يستطع أن يمشى فى جنازته . ثلاثة فقط . ولم يكن فى الإمكان أن يدهب وراءه أحد ..

وبكيت على عبقرى الموسيق...

وق مدينة بون بألمانيا وأبت البيت الذي عاش فيه الموسقار العظيم بينهوفن. هناكان يؤلف. وهناكان بجس ثم هذه سماعات صغيرة وكبيرة وكبيرة جداكان يضعها في أذنيه عندما أصب بالصمم في آخر أيامه.. ثم بالجنون فقد كانت الفرقة الموسيقية تعزف أحد روائعه. عندما رأى الناس يهلمون فظل أنهم يسخرون منه، فكاد أن يفقد عقله.

وقد فكر فى الزواج مرة بعد مرة ولكن الفتيات كن يهربن منه . لأنه عنيف وحاد المزاج وعصبى . ولا يغتسل كثيرا . ولا يريد أحلما أو شيئا يشغله عن قبه . مسكين عاش غذاء ساحرا لآذان الناس . ليفقد أذليه بعد ذلك !

وهزنبي قصته وحياته ومأساته

وفى هافانا بكوبا رأيت البيت الذى عاش فيه الأديب الأمريكي همنجواى حديقة واسعة ما تؤال فيها الغزلان. البيت من دور واحد تحفة وفى إحدى الغرف عشرات من الأحذية تجاورت وتكدست كها كان بفعل العقاد.

وكان بشرب كثيرا حتى لا يفيق , ولكنه عندما يكتب كان يصعد إلى أحد الأبراح , وكان يكتب بعشرات من أقلام الرصاص . وأطلق على نفسه النار ومات . تعب من الحياة لم يفهم كل ما يريد أن يعرفه . يائس من الإنسان . حزين على أن عمره قصير , والذي يريد أن يقوله كثير .

والحكمة اللاتنية تقول ؛ العمر قصير والعلم طويل!

وأنه لاأمل في مجاة الإنسان من الإنسان , ولا أحد يستطيع شيئا لأحد , والدنيا لا يصلحها كانب ، ولا ألف كانب , وإنما يصلحها نبى أو من هو في مقام الأنبياء !

杂 杂 旅

وفى مدينة رياليو على شاطىء الريفييرا الإيطالى أقام الشاعر الإنجليزى بيرون وجاء الشاعر الإنجليزى شيللى وغرق فى المياه التى تطل عليها المدن الجميلة: بورتو فبنو ورابالو وفوريتوزه وسانت مرحريتا. وأروتا. وفى أحد البيوت قبل لنا هنا أقام وهنا نام وهنا أحب وهنا كتب وهنا نقلوا حنانه وكان شابا عظها وكانت له مأساة فن الذي لا يحزن على شبابه وعبقريته ؟

وفى لننجراد زرت ببت الشاعر العظيم يوشكن . هنا مكتبه . وهنا سريره الصغير . بل هذا هو سريره فقد كان ضئبل الحجم وهو من أصل أفريقي مثل الروائي الكسندر ديماس ومثل الفيلسوف ألبير كامي ، وقد دخل الشاعر بوشكين في صراع وفي نزال . وكان تصيبه الموت .

وفي موسكو فير ليبني أهم معالم موسكو . وأهم ما يقعله الرائر إلى الاتحاد السوفيتي هو أن يقف في الطابور الطويل الذي لا ينهي ليدخل قبر لينبي . ويلق غطرة على حسبه الذي تمدد . والذي لا يزال أحمر اللود كأنه مات بالأمس مع أنه مات سنة ١٩٢٤ . ولا يتساءل الناس هل هو لينين أو عوذج من البلاستيك أو أن الروس قد تقدموا في في التحنيط ، كما كان الفراعنة من الوف السنين . لا أحد يسأل . ولا ضرورة . وإنما المهم أن يجد له مكانا في الطابور ، وأن يدخل خطات وبدور وينظر ويخرج وبتحدث بعد ذلك !

ولابد أن لينين كان عفرية ثورية فدة . فقد استطاع أن يقلب الأوضاع وأن يدبر وأن ينفذ وأن يجد إجابات على كل سؤال وإشكال .. وأن يكون بدلك آخر الفلاسقة الشيوعين ، حتى جاء من عده ماوتسى تونج وأضاف جديدا إلى التطبيق الشيوعي !

* * *

وفى ميونيخ بألمانيا الغربية تناولت غلالى وعشائى فى حانة البيرة الشهيرة التى كان يعقد فيها هتلر اجتماعاته السياسية وفى برلين الشرقية وأيت أنقاض قصر المستشارين فى الشارع الذي كان بعرف باسم وأشحار الزيزفون، والذي أصبح بعد ذلك يجمل شارع منائين. ثم تغير إلى اسم شارع ماركس أو شارع الشعب ـ لا أذكر بالدقة. وفى قصر المستشارية عقد هنار زواجه على الشعب ـ لا أذكر بالدقة. وفى قصر المستشارية عقد هنار زواجه على

إيفايراون، وانتحر هو وهي وانتحر أيضا وزير الدعاية جبلز، فقد أعطى السم الأطفاله ثم لزوجته .. ثم أطلق على نفسه الرصاص . ولم أرث لحال هتنر. فقد كان عبقريا شريرا وكان دمويا أباد عشرة ملايين من جلوده على طمعه وعلى مجده الشخصي ودفاعا عن نقسه .

ورأبت سجن داخآو بانقرب من مدينة نورنبرج. في هذا السجن أحرق هشر اليهود وخصومه السياسيين. ولكن استطاع اليهود أن يؤكدوا للعالم كديا وإرهابا بالسلاح.. الأمريكي ورءوس الأموال الأمريكية أنه قتل مهم ستة ملايين.. ومن الغرب أنهم جاءوا يطلبون التعويض من العرب.. كأننا تحن اللهن ذبحناهم وأحرقناهم – مع الأسف لم تستطع ذلك بعد..

参 蒙 告

وكنت الصحفي المصرى الوحيد الذي حضر اجتماعات «انجمع المسكون» وفي ببت سفيرنا للتي الفانيكان محمد التابعي النقبت بعدد من أمراء الكنيسة الشرقية في مصر ولبنان.

وكان المجمع المسكون بناقش قضيتين: الأولى: هل البابا معصوم من الحطأ ؟

والثالية : يناقش الوثيقة التي تقدم بها الكاردينال الألماني بيا والتي يطالب فيها شرئة اليهود من دم المسيح . مستندا إلى قول المسيح بأنهم لا يعرفون _ أي إذ الله المدين عذبوه لا يعرفون من هو . وإلى أن قضية صلب المسيح قديمة جدا . وأن الصلب تم في ليبة مطلمة عاصفة .

وأنه لابد أن يكون قد مات من الألم. ثم رقع ويعضهم يفسر الآية

القرآلية التي تقول «وما قتلوه بقينا» . على أن الصلب لم يتم حقيقة . ولمتما هو مات من شدة الألم ــ وهذا رأى د . ط حسين أيضا ، وقد سمعته منه .

وقبل أيضًا إذ كان الرئيس الكاثولبكي كنبدى قد قتل في وضح النهار . ولم يهند البوليس حتى الآن إلى الفائل الحقيق . فكيف يقال إن أحدا على يقبل مما حدث للمسبح منذ ١٩٤٠ عاما .

وإذا كان يهود القدس هم الذين ارتكبوا هذه الجريمة ، فما شأن أحفاد الأحفاد ا

كلام قبل . وأموال دفعت وتمت تبرئة البهود من دم المسبح . ولم يعد الكائوليك يلعنون اليهود في صلواتهم . ولكن طل الأرثودكس يفعلون ذلك !

وكان برافقني الأب قنواتى ، أحد رهبان الدير الدوميتكى في القاهرة وأحد المشتغلين بالفلسفة عموما والذي ألف جمعية الإجوان الصفا وخلان الدفاء

وفى ذلك الوقت كان الجو باردا ، كنت ارتدى بلوفرا أسود ، وبنطلونا أسود ، وبالطو أسود .. وكان الناس بنادونبى : بأدرى .. أى : أبونا ــ على أننى بهانا الزى أقرب إلى رجال الدين .. ولو رأوا ما فى يدى من كتب ومنشورات لنحققوا من أنى فعلا من رجال الدين المسيحى ، أو على الأصح من المتابعة .. له ...

ولم تننه دهشتی من أن يكون البابا معصوما من الحطأ ، لأنه ظل الله على الأرض كل ما يقعله وما يصدره صواب ولاراد لحكمه أو قضائه هما هذا ممكن ٢ وإذا أمكن عل هذا معقول ٣

0 2 2

وفحاًة وأثناء إحدى ندوات العقاد سألنى : إن كنت وأبت مسجد أبي العباس المرسى في الإسكندرية

و فقلت ؛ لم أره .

قال " افتعب يا مولانا واتفرج عليه .

ولم يقل شيئا أكثر من ذلك . وبعدها ببومين سافرت إلى الإسكندرية وتأملت كثيرًا في المسجد. ولم أجد شيئا غير عادى . وإنما لاحظت فقط أن بعض الآبات القرآبية قد كتب خطأ . ولم تصحح أحطاء هذه الآبات إلا مند وقت قصير جدا .

وعدت أقول للعقاد : إنني ذهبت ورأيت ولم أحد شيئا غير عادي . فقال : ولا حتى نفسك !

قلت مستدركا : طبعا شيئا من الوقار والعطف على هذا الرجل الطيب فقال العقاد : يا مولاتا .. إن حياة الرجل أحسل من مسجده ومن ضريحه .. وأحسن من هؤلاء الدراويش .

ثم قال العقاد : إن الشيخ أبو العباس المرسى مسئول عن وقوع المصريين فى أخطاء تدل على جهلهم , وأنا أعتقد أن كل واحد اسمه : موسى فمن المؤكد أن أباد جاهل تماما , لماذا ؟

وقال العقاد إن أبا العباس المرسى سمى المرسى نسبة إلى مدينة مرسية في أسانيا . قإننا حاء واحد وأسمى ابنه المرسى كان ذلك دليلا على أنه لم يفهم معنى كلمة المرسى أو يعرف كلمة مرسية !

وقال العقاد . أنا زدت مساحد كثيرة . لم تبهرني العارة ولا النقوش . ولكن مصدر إحساسي بالعظمة نابع من داخلي . فأنا أتذكر حياتهم

وجهادهم وعذابهم مع الناس .. ولذلك أشعر بالحزن وانعطف والاحترام في وقت واحد !

وهذا هو ما أشعر به .. فأنا أمام هده الأحجار أو اللوحات أو التماثيان أستحضر حياة هؤلاء البارزين في الإيمان والتقوى والزهد والعلم والفل .. واستحضار صورهم أو حياتهم أو جهادهم هو الذي يجعل قلبي ينحني فه فإذا الحتى القلب تساقطت عليه الدموغ .. وكأنها ترتمي عليه .. أو كأنها تقبل الأرض التي آوت الأجسام الكريمة الصافية السامية .

4/5 4/5 **4**/6

وعندما توفیت أمی منذ عامین أجسست أننی طفل فطمود فجأة وحرموا علیه المراضع کلها .. فلا لبن ولا ماء ولا صدرا حنونا : ولا معنی لای شیء أعمله .. فقد کان یعنینی آن أکون عندما ترید أمی .

فسلا معنى للحنان إلا عليها ، ولا معنى للامتنان إلا منها .. ولا معنى للوفاء إلا البر بها .. إنها تعبت وحق لها على أن أظل أعطيها وأن أكون لها ، لعلها ترضى . وكانت . يرحمها الله . راضية دائما

ولدمت بعد وفاتها أنني لم أفعل كذا وكذا .. وأنني لم أجلس إليها طويلا ، ولدمت على ألني لم أفلح أن ألنزع منها شيئا تريده بعد وفانها .. لم توصي بشيء . وإنما كانت تطلب مني أن آخذ بالى من نفسي _ ولا أعرف كيف ـ وأن أهنم بصحني . وأن أدفتها بعيدا عن أقاربها وعن أقاربي , وألا يخشى في حنارتها فلان وقلان من الأقارب والأحوة . واحترمت وصبتها .

وأصبح قبرها مزادی کل یوم ثم کل أسبوع .. ثم کل یوم ثم کل

أسبوعين .. ثم كل يوم .. وتعت من زيارتها ، فأنا لا أستطيع أن أمسك نفسي عن الدموع والبكاء والعويل وأنا أعلم علم البقين . أنه لا أحد هماك لا أحد .. هي تراب .. لا شيء هناك .. وحرصت على أن أجعل قبرها أبيقا وأن أزرع الأشجار كأنها ننام في ظلها .. وقبر أمي هو المكان الوخيد في هذه النبيا الله ي أملكه ومنذ أكثر من عشرين سنة ذهب مع الفنان حسين يكار والقنان عبد السلام الشريف لشترى قطعة أرض في عزبة النخل . وكان المترفى ذلك الوقت غمسة قروش وم أشتر وكنت أقول المخنى أن يكون المترفى ذلك الوقت غمسة قروش وم أشتر وكنت أقول المخنى أن يكون في موطئ قدم أقف عليه وأجعل من حوله سورا وأكب عليه اسمى .. تمنيت أن تكون في معرا لجديدة الله في مصرا لجديدة ا

قا الذي هناك في أي قبر أو متحف أو مسجد أوكيسة أو معيد يهودي أو بوذي أو كونفوشي أو شنتوى أو زرادشتي , وما الذي هناك؟ لاشي، .. لا أحد .. فكل شيء في الكتب .. ومن الكتب بتولد الحب والحنان و لاحترام والكراهية _ وكل ما نراه أمام أعيننا رموز متنوعة لأشياه وقصص ومعارك وفشل وانتصار . لأناس عظماء لدينا . أو أعزا، علينا ..

فأمّا لم أكن مثل عوليس أضع الشمع في أذى حنى لا أسمع . فإذا سمعت المهرت ووقعت ضحية لما أحب . بل إلى وضعت الشمع على كل حواسي أول الأمر .. وبعد ذلك نزعته ولم أعد أحاف أن أحب ، ولا أخاف آن أكره . ولا أنزعج أن أنهر وأن أعجب . لم يكن طبيعا . لأى سب . أن أحرم فلا أتزعج أن أنهر وأن أعجب . لم يكن طبيعا . لأى سب . أن أحرم فلسي متعة الحياة .. ومتعة التأثر . فكأنني ذهبت إلى كل مكان واستعلادى عظيم الأن أنعني .. فإذا وقعت رأسي إلى مكانه قوق كني شيء آخر .. يشخص آخر .. يرمز آخر .

وكل شيء له معنى .. وكل معنى يسنحق التفكير والمدى له معدة صعبقة يعيش على المسلوق، _ أى الصعام الصحى الذي لا طعم له _ فلا هو خلو ولا عو ملح ولا هو حريف ، ولكن المعدة السليمة هي التي تأكل أى طعام وكل طعام .. ثم تختار بعد ذلك أحسن الأطعمة وأنفعها وأرفعها .. وفد حاولت عبر طرق كثيرة متلاخلة معقدة أن أجد ما يناسب العقل

من بعيدجدًا تأتى مياه الأمطار والأنهار

من أين بأنى المطر؟ كيف يسقط فجأة ويغزارة على مكان ما من الأرضى ؟

إنه سؤال جغرافى ، ولكن الشاعر الألماني ريلكه بقول في ديوان اللساعات ، إنه يجيء من حماوات يعيدة ، ويتصاعد من أرض نائية . وهناك فوق ومن مكان في عاية السمو يتكالف ، وتجيء رياح وتدفعه إلى مكان لا يعرفه . وفحاة يسقط المطر .

وسؤال آخر من أبن نجىءمياه الآيار ومن أبن تنبع الأنهار الحوقية نحت لأرضع

والحواب إن هذه المياه هي الأحرى قد لزلت بها الأمطار واحتفظت بها الأرض .. وتسرت والطلقت واحتبت ثم عادت فنسرت .. ووجدت مكان مناساً في الأرض فهبطت على شكل آبار . أو الطلقت على شكل نافوات .. وكانا يقول الجغوافي العضع همولت ..

وأشياء كثيرة مثل ماه المطر تنبع من دمن بعيد فى تاريخ أى إنسان . وتتجمع وتتبدد . . ولغيب وتطفو وتندفع إلى أعلى فى الوقت المتاس . فى الطفولة أو فى الشباب أو فى الرجونة ـ إن كثيرين من الناس وبدوا مؤسين .. :: سهر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3 والقلب والمعدة

وقليلون من الناس كيروا مؤمنين. والنادرون من الناس أدركهم الإيمان قبل أن يدركهم الموت بقليل.. فكأن إرادة عالبة شاءت أن يموتوا مؤمنين..

ولو عدت إلى ورائى لرأيت بوارق كثيرة تؤكد أن شيئاً ما سوف يجرى فى نفسى . أو نجرى به نفسى أو يتفجر فيها ، أو بنفجر بها . فأحترق وأصىء فى وقت واحد _ هذا ما أدركته الآن . أو أحاول ذلك . ولم يكن ذلك واضحاً فى بوم من الأيام . فكل البيئة ننذر بالمطر .. تنذر بالبرق .. ولكن متى يجىء اكيف نجىء الماذا يجىء الاأدعى الآن أنبى عرف ، ولا فى ذلك الوقت أنضا .

الحدى البدايات هذه الحيوط الطويلة المتشابكة التي صنعت شبكية بصيرتى لابد أن بكون أبي أو أمي .. أو هما معاً ... أو أمي فقط

فأنا مرتبط بهما .. أو مرتبط بأمى أكثر .. لأنيا نشأنا فى عرلة .. محموعة من الأعدم الحائفة من الدئت .. وكل ما حولتا دئت .. لمافا ٢ لا أعرف .. ولكن أصحو وأنام على الحوف من المناس ومن الرمن .. فكل الناس لهم أنياب .. وكل لحظة لها عقربات .. وكلها قد أعدت نفسها على الهجوم علينا .. ولم أسأل نفسى فى أى وقت ولمافا علينا وحدثا ؟ ومادا عندنا يغرى الناس بالاحتشاد وانتعبئة صدنا ٢ لم أسأل نفسى ولا أحدا فى أى وقت . ولكن لا يكاد يمضى عام حتى نكون قد انتقلنا من بلد إلى بلد .. كأننا جزيرة ولكن لا يكاد يمضى عام حتى نكون قد انتقلنا من بلد إلى بلد .. كأننا جزيرة عائمة وسط محيط هائح مائح .. المحيط يتهدد ونحن نشدد .. المحيط يعلو ويهبط ، ونحن منلاصقون معاً .. حائفون معاً .. حول أمنا .. لا نعرف إلا هي .. ولا وأى إلا لها .. ولا حكمة إلا عقلها .. فهي الني تعرف كل شي . . وهي الني نتنبأ بكل شيء وكنا ونحن صغار .. اسألها هكذا .. وهلى يجيء

خطاب من أبي ؟ فتقول حزينة : غدأ ي

وبجيء العد بالخطاب

ونسأضًا هكانًا . وهل ببعث أبي يفلوس ؟ فتقول : ثلاثة جنبهات .

وتجيء رسالة وبها للاثة جنيهات ,

وهل يشقى فلان من مرضه ؟ .. لعم بعد أربعة أيام .. وهل يهجمنا الذئب ؟ نعم غداً ﴿ وَجَيءَ الذَّبِ فِي الغدِ

وكان الذئب يففز من نافذة إلى بيت عالبيت في أطراف مدينة أبو حمص على حافة حديقة وفي البيت دواجن وأغمام وديكة رومية .. ومعظمها يجيء أحد أقاربها ويأخذها كل شهر ..

ولا أذكر اللي تاقشت شيئاً من فالك مع أمى فنحن حوها وإلى جوارها وقى أحضانها فى مكان أمين ، نحن تختف وهى لانحاف ، أو هكذا كن نؤمن ،

وق أحد الأيام صحونا من النوم على تعبان قد تكوم في الأرض. لعله كان بحتاج إلى دفء . ونظرت إليه وأنا شديد الحوف . ولم أتطق بكلمة . فقد وجلت أمى قد أحاطت بي .. وأغرقت أنا في النوم .. ولعل سبب ذلك الحوف . ولكن أمى أيقظتني نتقول . هات المصحف واقرأ .

ولم أستطع أنا أنول من السرير لأتى بالمصحف من مكان فويب من التعبان ، ولكن لا أدرى كيف اقتريت من التعبان فلا هو تحرك .. ولا أن شعرت بشىء .. كأننى لم أتحرك .. ويسرعة أمسكت المصحف .. وقالت لى : اقرأ مورة يس وأن أردد وراءك ..

وقرأت. وكانت تردد ورائى. وضغطت أمى على بدى لأرى. ورأيت المعبان كأنه عقدة تنحل. أو كأن أصابع خفية ، أو كأن حروف الفرآن قد فكته عضلة عضلة .. وإذا بالنعبان يختفي تحت السرير.. ولؤلت أمى من السرير وأتت بمعض الأعشاب وأشعلت فيها النار.. وامتلأت الغرفة بالدخان . وعرفت فها بعد أن هذا هو ، الشيح ، الذي يقال عنه الشيح في البيت مليح !

وفى إحدى الليالى تغيب والدى عن الحضور ... ولم تكن هذه عادته .. مضت الساعات الكبيرة من الليل .. وجاءت الساعات الصغيرة الواحدة والثانية والثالثة ــ ولم يجف لأمى دمع .. ولا لنا .. ولا تتساءل عن شيء .. لاكلام ــ بل تركماه خده القطرات الساخنة على الحد .. تلهب العيم والوجه معاً .. وفجأة طلبت منى أمى أن آئى بالقرآن .. وأن أتلو وهى تردد ورائى وعدما قرغت من القراءة سمعنا دقاً على الباب وفى نقس واحد قلنا ؛ مين الموسود عند من الفراءة المعنا دقاً على الباب وفى نقس واحد قلنا ؛ مين الم

لعله عقریت .. بعله ذئب .. لعله لص .. نعله واحد من الناس .. وكل الناس كذلك .

ولم يكن أحد فعلا .. أو كان أحد وأدرك أننا لم نتم .. ثم اختنى .. مع أننا لا تستطيع أن تفعل شيئاً .. ما الذي تستطيع أم وأطفافا الصغاد أن تفعل شيئاً في هذه الساعة من الليل؟

وعادت أمى تطلب منى أن أقرأ القرآن الكريم .. وقرأت .. ولم أكد أفرع حنى سمعنا دقا على الباب .. ثم انفتح الباب .. إنه أبى .. وعرفنا تفاصيل الحادث .. كيف أنه اضطر إلى الشهادة فى قضية أتهم فيها صاحب العمل

الذي كان أبي يعمل عنده .. ودخل صاحب العمل السجن .. وفصل أن من عمله .

وكان لاياً أن نسامر إلى بلد آخر.. وسافرنا وفي السيارة كان أبي لا يفعل شيئاً إلا تلاوة الفرآن.. وأن أردد وراءه... في الظروف الحزينة فقط نقرأ الفرآن وننتظر المعجزة... وكانت نجيء.

وعندما دخلت كتاب قرية الباز مركز فارسكور .. كان صاحب الكتاب قريبي .. إنه أشقر أزرق العبين .. وعشرات من أفراد أسرة أمي كدلك .. فجدتنا الكبرى فرنسية معربية مسيحية .. وكنا تضحت عبى أنها لا نعرف نتطق العربية .. وكبت أنها أفضل منها .. ولم ألاحظ أنها كانت تجلس معنا ي الكتاب .. م أفهم لأنني لم أسأل .. وكنت أسمع ولم أفهم أبضا .. أنه دفنت قيم أواد الأسرة .. وفي أحد الأبام صلب إلينا سيدنا صاحب الكتاب .. ال نذهب ليلا ونسرق اكتاباله آخر .. وهذا الكتاب لرجل بتنفسه وأحس منه حلقاً وأكثر صبراً على متاعب النلاميذ الصغار .. وذهبا وسرق بعض المقاعد في الليل .. وعدنا بها لنجد سيدنا في انتظارنا ولما تنه عض الناس إلى ذلك عابوه : كيف تعلم الأطفال السرفة المناسقي سوف بفعلونه عندها يكبرون . فقال الأخي يوسي عليه السرفة المناسق وحداً مصرية إ

وفى اليوم التابى اعتفل احفراء واحداً من أقاربي خهمة التعدي بالضرب على رجل آخر .. وهذا المضروب قد مات فعلا .. وذهبت إلى العمدة أقول له : موسى قتل .

ويسألنى العمدة وهو قريب لنا أيضاً : أنت رأيته . فقلت : سيدنا هو الذي قال .

واستدعوا سيدنا. وعدت أقول: أن قلت إن موسى هو الذي قتل.
وبعد ثلاث ساعات أعادوني إلى الببت، وتلقتني أمى بالضرب العنيف.
وكانت تضربني كثيراً.. وكانت تتباها بأنها كسرت على رأسي سعف النخيل.
وأحياناً تقول حسسة وأحياناً تقول سعة .. وكان يغيظ أمى ويضايقها جدا أنني كن أللني الضرب ولا أبكى .. وكانت نقول الن إيه ؟ الضرب لا يوجعث. لا يؤلمك .. لماذا لا ببكى ؟

وبعد ذلك بعشرات السنين. عندما قرآت الفلسفة الوجودية وجدت معنى ذلك. فنيس أقسى من أن تنظر لإنسان. ولا تتكلم، فهو يحتار. ما الذي تقوله عيناك ولا يفصح عنه لسائك. هل أنت تلعنه. هل أنت تلعنه ولا أنت تعتقره هل أنت تستهين به وعرقت ذلك عندما تضرب السيدة في البيت حادمتها. فلا تنطق فهذا يضاعف من ألمها، وتشعر السيدة أن الحادمة تضربها حادمتها. فلا تنطق فهذا يضاعف من ألمها، وتشعر السيدة أن الحادمة تضربها بسياط من نظرانها وأن هذا هو أقسى انتقام، ولذلك تجد السيدة نفسها مضطرة إلى أن تدفع الحادمة إلى الكلام أى كلام وهنا تستريح انسيدة وتقول : هكذا الطقى اتكلمى قول : آه ا

وفى اليوم النالى دهبت إلى كتاب آخر ...

وبعد ذلك بأيام أحدتني أمى إلى بت إبراهيم باشا عبد الهادي . أحد أفاربها وطلبت منه أن بتصحني . ولكن الباشا لم يقل شيئاً . لأنه لم يعرف علطي . فقالت أمى : إنه لم بعد يقرأ القرآن . إنه يضرب الأطفال كل

يوم .. وكل يوم أقع في مشاكل .. وكثيراً ما أنوا به من فوق النخيل وأشجار النوت وقد سقط مرتبن .. وقد غرق منذ أيام في النيل مع أنه لا يعرف السباحة ..

ولا أعرف من كل هذا الكلام ما الدى استراح إليه الباشا . فقد أدنانى منه .. ووضع بده على رأسى وهو يقول : ما شاء الله .. عندك كم سنة .. فقت : ثمانى سنوات ..

وعادت أمى إلى البيت لتقول لى * أمَّا قلت ألف مرة ... لست كأحد من الناس ... لابد أن تعرف أننا مختلفون ..

ولم تدوختي عبارة قالتها أمي .. أو سمعتها في حياتي مثل هذه العبارة .. فنحن مختلفون لماذًا؟ هل لأننا غربا، في كل أرض هل الأنه مثل عائلة ارويسون كروزوا في حزيرة مهجورة أو كأنها مهجورة. هل لأن الناس كلهم يملكون أرضًا. ولا علك .. هل لأننا مثل الكرة .. مرة كرة قدم .. ومرة كرة يد. ومرة كرة طاولة . وكل يوم يضربنا المجهول إلى أرض بعيدة . كأنه مكتوب علينا ألا نستقر عند هدف . عند شكة ، صحيح . نحن غير الناس جميعًا ولكن لماذًا ؟ لم أعرف إذن لأننا مجتلفون عن الناس ما الذي لفعله ؟ بحب أنَّ لفعل شيئًا آخر. ما هو الشيء الآخر؟ هذه هي المشكلة إ أمي تقول : إن أولادي مثل البتات يضعون وجوهم في الأرض إذا أحد نحدث إليهم. ويقفلون على أنفسهم الأبواب إذا رارتنا جارة أو قريبة أولادي أصواتهم منخفضة لا يرقعون صوتا ولا عيا ولا ينا على أحد هذه تربية ، أولادي في حالهم ، من البيت إلى المدرسة ومن المدرسة إلى البيت . أولادي ليس هم أصدقاء . فالناس أشرار جميعاً . زبنا قال ذلك في القرآن ! . .

ولكن أمى لم تشأ أن تقول إلى أخرج فقط عندما يكون هناك ميت ورجل يقرأ القرآن . أجلس في مكان قريب من ناب الصوان ، فقد حدث كثيراً أن جلست في الداخل . وجاء واحد وطلب إلى أن أنهض ليجلس هو ولذلك أجلس بالقرب من المباب حتى إذا أنهضتى أحد ، لم يشعر الحاضرون بذلك . أما الموالد والأفراح حيث الرقص والغناء قلا أذهب مطلقا . ولعل من أسباب ذلك أن الأطفال قد تشاجروا معى ومزقوا ملابسي وهذا مالا يحدث في المآتم .

وفى من مبكرة أصبح مؤكداً أننى تلميذ مجتهد. وأنى ترتبيى يكون الأول. وأن هذا يدهش الناس. ولكن أمى لا تعلق على ذلك بشيء ولا أظن أنها قالت في مرة واحدة : معروك أو أى شيء له مثل هذا المعنى. وهي معدورة . فهي لا تقرأ ولا تكنب .. وهي استغولة بأشياء أحرى : بالطعام وتأميننا من الحوف ، والبيت كله . وربط أمتعتنا ووضع الكثير منها في حالب من البيت ، انتظاراً لحطاب يجيء من أبي يقول لما : استعلموا نحن فاهبون إلى بلد آخر .

ووجدت نفسى صديقا للعجر فى كل مكان على إلىي كنت أنحت عهم . شعور غريزى هو الذى هلمانى إليهم . وبما لأنى مثلهم . وبما لأنى من أسرة حائرة دائرة بائرة عائرة وأننى مثل هؤلاء العجر أثيم فى بيت من القش فى مهب الربح والذئاب والحوف . وألهى قطعة حجر متحركة . ولأسى متحرك فلا عئب ينمو على حياتى

لاصداقة , لا زمالة . لا محبة لا حيران . لا إحوان . لا أحد لا أحد . كأننا خارجون على القانون . كأننا على الشقة الحرام بين الحياة المدنية وحياة

الغجر .. وكنت سعيداً بطفلة صغيرة ألعب معها . ولا أعرف الآنه ما الدى كنت أقوله لله حنى نجىء الظهر بسرعة .. ونجىء العصر بسرعة . ويسخل العيل دون أن نشعر به _ ولا ما الذي جعلنى أنقل لها ما أستطبع من السكر ومن الأرز والصابون .. ورعما ضربتنى أمى بعد ذلك عندما سمعتنى أقول له : عندما نكبر سنزوج .. وحياة كتاب الله .

وأقسمت على المصحف والحنف هذه الطفلة الساحرة وعالمها المسحور . عالم المعجر .. وكنت أحس دائد أنني واحد منهم .. أو يجب أن أكون !

وعندما تقدمت في الدرامة الانتدائية أحسست يشيء من الحرية , وكنت أَذْهِبَ إِلَى أَبُوحِمُصَ عَى ظَهْرِ حَمَارٍ . وَنَجِمَعُ قَصْصَ أَرْسِينَ لُوبِينَ. وَكَانَ يعدها لنه صديقتا رمضان عطية ابن صاحب محل فول عطية البكاش. وهو الآن صاحب المحل. ويقال صاحب تاكسيات. وكنان يرافقني صالح مخبون. وهو أبو الممثل الشاب المعروف صالح مخبون أيضاء والشغلت بهذه القصص البوليمية عن الطعام والشراب. وفي كل أحبوع أقرأ عشراً من روايات الحبب الني كان يصدرها عمر عبد العريز أمين . إنه عالم عجيب غريب . ولكنه مثير وثمتع وهذه الروايات جعلتني أتجه إلى هذا النوع من المنعة . ولم أعدل عنها إلا في سن متأخرة عندما وجدت في المصورة كتب الأستاذ محمد صبيح عن الرسول وأني بكو وعن انقرآن وكانت هذه الكتب صغيرة . ورخيصة . وله أغلفة لافتة يرسمها الأستاد عبدالسلام الشريف. واقتبت كل هذه الكتب. وهي مختلفة تماما عن روايات الحبب وإن كانت منشامة من نعيد. فغي جميعًا تبحث عن حقيقة شيء حتى نهندى إليه ..

وأول خروج من هذه القراء ت كان عندما عثرت على روابة حسين عفيف

واسمها الرّبات الله وهي رواية ومانسية شاعرية وفي غاية الرقة والحمال إنها عالم آخر : أنعم وأرق كل تني، فيه همسر ولمس وأسى وأملى أول مرة أعرف شب اسمه الحب ولم أكن عرفت هذه الكلمة ولا معناها . ولا فوتها كأنني كنت مسلوب الغرائر وإنما كانت كل غرائري هي الحوف من كل شي، حول ومروح من كل ما أول وما أعسار ومن كل دحول وحروح من كل شي، حول ومن كل ما أول وما أعسار ومن كل دحول وحروح ومن المدرسة ومن المدرسين ومن الامتحان وأن يتسرق ميلاسي . وأن يتسح حداث وأن أسهم كثيراً فيفد غاز المصاح وأن أحلس إلى حواز الحائط غاضاب بالروماتيزم وأسعل مثل أمن التي تمزق صدرها من السعاد والدم حوف ق

وعرفت محلة االرسالة التي يصدرها أحدد حسن الريات وعرفته لهو بعد ذلك طالبا وصديف وآخر خطاب كتبه في حياته هو الذي بعث إلى يه وتكرته على حسن ظنه وتقديره به يرحمه الله وفي الرسالة الهنديت إلى العقاد وكانه العقاد عرزاً بإهرا وسلاسل ذهبية وحسر من الصلب ... ونافذة على كل الدنبا وقوة طاغية وانحم عقل إبه

وقلبى بعد ذلك ، ومنذ ذلك الوقت وهو لا يعيب عن عبنى وفكرى . بل ارنى وأما طالب في المنصورة التانوية كت ألف حول علق كوفية كما كان ينعل العقاد .

ومن العرب أننى كت أمتنى مثله . مع أننى لم أره في حيانى . ولكن قبل لى ذلك من الذبن بعرفون العقاد . وكت لا أثراً الرسالة التي ليس بها مفال لمعقاد . فأن أشترتها من أجله فقط . ولا أدعى أنبى كت أفهم العقاد ولكننى كنت أنظر إليه كفارة عالية شامحة . ولها حدران مثية . ولها أعمدة من

الحرسانة المسلحة إله شيء قوى ولكن موالذي تمثله هذه الفوة " لاأعرف ولكن أعجبني تسلسل فكره ورأيت في ذلك تمطا من التفكير. أو قواعد للسير أو سلم صاعداً إلى لاأعرف أين وكان هذا هو الذي ينقصني : أن أجد صريقا مرسوما . أن أجد علامات واضحة . أن أجد مصابيح على الطريق أن أعرف من أبن وإلى أبن . وبملأت أفكر،

ودخت التوجيهية أدنى. وكان ترتبي الأول ونرنبي الأول في مسابقة الفلسفة. وكان من الذين ترتبهم الأول في الأدب. د. عبدالغبي محمود عميد كلية زراعة القاهرة.. وآخرون لاأعرف أين هم.. من بيهم د.. عبدالفناح محسن الأستاذ في اضابسة الآن.

وكانت مثلنا العليا في ذلك الوقت هم الطلبة المناجين. وكلهم من الشعراء مثل ؛ ماهر قنديل الكانب اللامع في محلة ، حواء، الآن وعوض الدحة لا أعرف أين . والشاعر البشبيشي وهو أيضا لا أعرف مكانه وأصبحت ميولى أدبية قلسفية . وانحهت إلى العلسفة ، وجرتني ، وأطاحت في بعياً جداً عن أى شيء أعطيتها نفسي . فأخلتني ولعبت برأسي وقلبي . وأصبحت ورقة في مهب الربح ، وكنت أطمئن نفسي بنفسي وأقول ، ما من شجرة إلا هزتها الربح ، ما من سفية إلا هزها البحر . فالاهتزاز حركة ، والحركة حياة ،

صحیح أن الاهتزاز لیس هو الانتقال ولکن من الذی کال بشغل باله بالاعقال إلى مكان ما او إلى مذهب ما او رأی ما لا أعرف شیئه بوضوح ، فأنا أجلس فى حانة الفلسفة وأشرب كل ما يقدم لى وأهتر طربا . كل شىء جدید وكلها أسلحة فى یدی أطلقها على كل المفدسات وأفرح كما یفرح طفل بالیمب یطبقه على الماس هما وهناك و یفزخ الناس و بسعده فرعهم .

وفى يوم عاد واللهى إلى البيت ليجدنى جالسا على السرير مريضا . ولكنه رأى شيئا غريبا حقا . فقد وحِدنى أضع رأسى فى غطاء ماكينة الحياطة . فسألنى ؛ ماذا تصنع ٢

وكانت المفاجأة . لقد كنت أربل القرآل وأسمع صداء في نفس الوقت عندما وضعت رأسي في غطاء ماكينة الخياطة . وكان هذا الغطاء في ذلك الوقت نصف أسطواني . وعرف من والدتي أنني أفعل ذلك كثيرا . ودارت مناقشة أفرعتني هو يقول . ألم أقل لمث إنه يجب أن يدخل الأزهر . وهي تقول - لا يمكن . إن أقاربك مهندسون وأطباء وأساتدة في الجامعة . . ولا يمكن أن يكون ابني من رجال الدين مثل أخبك . يستحيل . ويستحيل . ويستحيل أن يكون مقرئا أو مؤذنا . وإلا .

و «الله هذه معناها أن تجمع أمى ملابسها وأن تتعلق بها وتعود إلى بيت أهلها . فهناك طعام أوفر ، ومكان أوسع .

وكنت أشفق على والدى . إنه طيب . . مرهق . مهدود . بعيد عنا . وقى الأيام الفليلة التي يمكنها معنا يسمع كل مشاكل الدنبا . وربما لذلك لا يبقى معنا كثيراً . ولم أعرف أين الحقيقة فى ذلك الوقت . وعندما كبرت عذرتهما معا ا

وعندما قرر والدي السفر بعيداً عنا قلت له : إنى رأبت النبي في المنام !
وكأنتي ارتكبت جريمة . أو أنيت عملا فطبعا , بشعا : فقد تغير لون
وجهه . وفرعت . وعندما افترب سي أنى . قلت الأ , لم أره . ولكن تهيأ لى
ذلك !

ولكن أبي هدأ روعي وأجلسي إلى جواره وطلب مني أن أروى بالضبط

ما حلث , ورويت له , إننى رأيت شخصا مصيثا , وسط عدد كبير من الناس , وأنه جاء إلى هذا البيت , واندهشت كيف دخلوا إلى البيت ونهضت من نومى وقد وضعت بدى على عينى . قلم أستطع النظر إليه , وسألنى أن أشرح له بالفعل ما رأيت . كيف كان وجهه .

قلت الاأعرف لم أره بوضوح ولكن سمعت من يقول إنه هو ، سمعت صوتا في داخلي لا خارجا على .

ووجدت أبى يقبلنى ويبكى. ثم وجدته يؤجل سفره ويصحبنى إلى أحد العلماء ويطلب منى أن أروى له ما حدث وسألنى الرجل العالم كيف رأيته و فقلت له : وسألنى إن كنت قد قرأت شيئا قبل النوم قلت : لا قال العلك نسبت قلت : كنت أذا كر ..

وهنأوا والدى. لا أعرف على أى شىء. وتعيرت ملامح والدى. وأصبح أكثر رقة . وقال : يا ولدى لقد ندمت على أسى سمعت كلام والدتك . ولم أدخلك الأرهر الشريف ولكن الله سوف يكرمك ويسترك. ويكرم بك الآخرين . الله يفتح علبك !

وفى الجامعة كان يدرس لنا الفلسفة الإسلامية الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرازق. ولم أر شيخا بهذه الرقة وهذا الوقار. وهذا العلم. وكان يتغنى بالتاريخ الإسلامي. وكان يطلب إلينا ألا نقرأ كثيرا وإبما أن نتأمل. وكان الشيخ مصطفى عبد الرازق أنبقا في ملبسه وفي كلامه. وكان لا يمشى على الأرض وإنما يطفو عليها. كأنه بلا حجم ولا وزن مادى. كأنه روح - أو هكذا كان يبدو لنا.

وكان يدرس لى التصوف د , مصطفى حلمي , وكان رجلا أعمى . وكان

مرحا محما المنكنة . ولا أنسى بوما عندماكان يشرح فلسفة محبى الدين بن عربي . فكان يقول : المطلوب هو أن نفسر الكون من تحث لفوق ومن فوق لتحت كما يقول شكوكو

ثم يقول : هذا شعر منثور ، ونتر مشعور ، إن صح هذا «التعبور» يا أنيس با منصور !

طراز آخر من الدراسة الدينية والفلسفية والصوفية ..

وقد نصحتی د مصطفی خلمی أن أكتب رسالة عن «الحلاج» وعن الصوفية عموماً . لأنه يلمس في كتابتی نزعة صوفية شفافة وضاءة_ علی حد فوله .

ولم أكن ألاحظ ذلك . ولا أعرف كيف رأى ذلك في نفسي أو في المقالات القلبلة التي أكتمها .

وفى هذه الأثناء وقع فى يدى كتاب للدكتور عبد الرحمن بدوى اسمه «من تاريخ الإلحاد فى الإسلام» هذا الكتاب اعترض طريقى ، وطمس عبلى ، وتشعبت تحت قدمى السبل ، وامتلأت الدئيا حول بنجوم تشد يلنى إلى هنا . بل إلى هناك . بل. لا هنا ولا هناك . وإنما الضياع هذا هو الحل الوحيد لكل مشاكلنا . ألا نقول لا ولا نعم أن نتوقف عن الحكم على شىء . لأنه لا شىء هنا أه هناك ؟

وامتدت يدى إلى اعترافات الفديس أوعسطين الذى آمن بعد العشرين من عمره كان له دين آخر . وكانت أمه تتبعه من إيطاليا إلى قرطاح فى تونس . وكانت تصلى من أجله . وكان القديس أوعسطين يقول : إن مونيكا أمى هى

مصدر تعاسنی ، أرید أن أرضيها ، ولکنی لا أعرف کیف ، أرید أن أکون مسیحیا کائولیکیا قبل أن تموت ، ولکن قلبی لا یطاوعنی ، وعقلی قد تمرد علی قلبی منذ وقت طویل ، فأنه لا أری ما تراه ، ولا أسمع ما تسمعه ، ولا أدری من تصلی له ، ولا أری توراً فی السماء ، ولا نوراً فی قلبی ، اللهم اهدنی رایك ، اهدنی لکی أسعد أمی ..

وعنده اسافر القديس أوغسطين بأمه إلى روما ماتت في عرض البحر. وحزن عليها ، وحزن أكثر على أنه لم يكن قد وضع ابحاثه تماماً . وآمن بعد ذلك . ولكن بعد أن ماتت أمه بسنوات , وكان ندمه على أبحاثه عظيها . فقد آمن ومانت أمه دون أن تعرف ذلك . ولكن لم يذب أمله في دموعه . فالموت جمعها معا . والتقيا فرق .. في السماء !

وهى تجربة عظيمة قام بها القديس أوغسطين.. فاعترافاته مشبوبة النار والشرار.. وهي دافئة سخية مقدسة..

واهتدیت إلی کتاب ۱۱ المنقد من الضلال ۱۱ للامام العزالی وهزی هذا الکتاب لأنه کلمنی بعبارة مودرن إننی أقرأ فیه أجمل وأروع ماکتبه الفیلسوف الفرنسی دیکارت فی کتابه المشهور ۱ مقال فی المهج ۱۰ فهو بیدا بالشك ثم یمنهی إلی الیقین ولکن الغزالی أسط وأروع وأعمن ولکن بالشك ثم یمنهی إلی الیقین ولکن الغزالی أسط وأروع وأعمن ولکن دیکارت أکثر نعمقا فی علم النفس والمطق والغزالی ما یزال أروع تجرد من الامان بالغلم والایجان بی الله کل جر ۱۰ وطاف کل محیط ایرسوا علی بر الأمان بالغلم والایجان .

هدانى الغزانى. وثبت الأرض تحت قدمى. وثبت الدنياكلها أمامي . هنا السماء وهنا الأرض. وهنا العقل وهنا النقل. وهنا الكتاب وهنا الحديث

وهنا الاجتهاد، ولكن أبن الوقت ٢ نعم أبن الوقت للتأمل في كل شيء ، ونحن ما نزال طلبة نعرق في الكتب ولا نرفع رءوسنا إلا بعد الامتحان. حتى إذا انتهى الامتحان كانت رقابنا قد انكسرت من القراءة، وظهورنا من الجلوس وعبولنا من الضوء الضعيف والحروف الصغيرة. وكأن علينا أن تستريح وأن بواصل القراءة وأن تبحث عن لقمة العيش. وفي البحث عن لقمة العيش كان من الصعب أن نعيش ، وإذا عشنا من الصعب أن نواصل القراءة ، وإذا قرأنا فحاجتنا إلى القراءة شديدة. وما أكثر ما يصدر من كتب، وما أصعب أن غضغ ما ابتلعناه. وما أشق أن تهضم ما مضغناه ، وما أعسر أن تمتص أمعاؤنا المرتحفة كل ما هضمناه ..

وأتذكر ما قاله جان جاك روسو فى الصفحات الأولى من «الاعترافات» يقول : ماتت أمى . وخزن أبى . وكان يذكرنى دائما بها . وكان يقول لى أنت صورتها الحية . ومع ذلك مات أبى فى أحضان زوجة أخرى .. وفى إحدى المرات سألنى : أنت لم تعد تذكرنى بأمك . فقلت : إذن لنبك معا ..

ويقول روسو: «هذان هما الاثنان اللذان ألفا كتاب حياتى. والآن أنت تعرف لماذا جئت شديد الحساسية وشديد الرقة . وكان أبي سعيداً برقتى وعطنى . ولم يعرف أننى أشد تعاسة منه بذلك ! » .

قالإنسان كما صنعته أمه . أو ذكرى أمه . فمستقبل أي طفل هو ماضي أمه !

وآدم قد أسمى زوجته «حواء» ومعناه حياة ، لأنها أم الحياة كلها ! وتذكرت حواراً لأوسكار وايلد في مسرحية «امرأة لا أهمية لها»: - كل النساء مثل أمهاتهن , وهذه مأساتهن .

ـ لكن الرجال لا يفعلون ذلك . وهذه مأساتهم !

ولا أعرف بالضبط الآن لماها كنت أنحامل على أم الفيلسوف الألمانى شويتهاور فهذا الفيلسوف متشائم. ولكن تشاؤمه في غاية الروعة والجمال.

ويقال إنه حاول أن يلخل إلى الصالون الأدبى الذي أقامته أمه في بيتها ,
لا لشيء (لا لكي يعرض إنتاجه الفلسني على الشاعر العظيم جيته , ولني أمه على
السلم , وعضب من أنه دخل بلا إذن , وثارت عليه , وصرخ فيها : مها
فعلت , ومها قابلت , فلن يعرفك أحد إلا بأنك أم شونهاور !

وقد حدث ذلك , ولما قرأت عن شوينهاور أكثر , عدرت أمه , وأنا أعدر كل الأمهات , لأنبى أعدر أمى , وأرى أنها مضطرة إلى القسوة على أبنائها , فالحياة أقسى عليها من قسوتها على أولادها , وهى لا تفعل ذلك إلا مضطرة , ولا أقول كل الأمهات ، ولكن بعض الأمهات !

ويقال إنه حاول أن يدخل إلى الصالون الأدبى الدى أقامته أمه فى بيتها . لا لشىء إلا لكى يعرض إنتاجه الفلسنى على الشاعر العظيم جيته . ولتى أمه على السلم . وغضبت من أنه دخل بلا إذن . . وثارت عليه . وصرخ فيها : مهما فعلت . . ومهما قابلت . قلن يعرفك أحد إلا يأنك أم شوبهاور ا

وقد حدث ذلك . ولما قرأت عن شوينهاور أكثر عدرت أمه . وأنا أعدر كل الأمهات . لأننى أعدر أمى . وأرى أنها مضطرة إلى القسوة على أبنائها . فالحياة أقسى عليها من قسوتها على أولادها . وهي لا تفعل ذلك إلا مضطرة . ولا أقول كل الأمهات . ولكن بعض الأمهات !

ومن غير مناسبة كتبت مقالاً في مجلة «كلية الآداب، عن الأم. لا مناسبة

أبدأ إلا في دَاحَل نفسي. والمقال أمامي الآن. وأحد قيه هذه الآبات .

وآبات أحرى كثيرة . ولا بد أن يكون سبب ذلك إحساسي بأنني سوف أتخرج في الجامعة . وسوف يكون على أن أؤدى ما وحب . أن أفعل لوالدي ما فعلاه من أجلى . إنها فعلا ما ستطيعان , وما يستطيعان قليل جداً . ونكها فعلا وأعطيا كل ما عندهما من المال والصحة والشقاء والهوال ... وكأنني كنت أعاهد نفسي على أن أفعل من أجلها شيئا .

وفى بوم غريب مات أبى . كانا مسجى على فراش فى عوامة فى النيل تملكها أختى الكرى. واستدعائى فقد حدث أختى الكرى. واستدعائى فقد حدث دلك أكثر من مرة عندما استدعاق بعض أقاربى ليقود آجر شى . . وه همت وأدا لا أستطيع أن أراه مريض ولا أقوى على حزته المكوم وأنه الدفيل وس الذي يستطيع وقرت منه وقلت يده وسحب المصحف من تحت رأمه ليقول . تعلن أن تدرس دا محا فلا شى ه يرفع أحداً إلا العلم قلت أعاهدك

وأرجع رأسه إلى الوراء ليسأتني وكل أمل الدنيا وسعادتها في عينيه , قال وكأنه لا يسألني : نجحت يا ولدي , قلت : الحمديق

- وكان ترثيك الأوں.
 - · N -
- _ وماذا تصنع بعد ذلك
- ـ قابت د . شوق ضيف . وسوف ببعث بي إلى د . عبد الوهاب عزام .
 - _ لتفعل ماذا ؟
 - . Vasy _
 - _ ويعد ذلك .
 - ــ أنفق على صحتك وعلى صحة أمي
 - _ الحمد لله .

وتراجع برأسه إلى العالم الآخر. ولم أجد في عبني دمعه لقد أخذها معه الى حيث لا أعرف أين دموعي ؟ أبن حبى له ؟ أبن خوفي عليه وما معنى علما العهد. ولماذا بموت بوم نجحت ، وما الذي أدرت هل هو القرآن فقط أم أنه جعلني أقسم على القرآن أن أواصل العلم . العلم ما أوسعه . وقد أحذت من كل العلوم ، الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الحمال وتاريخ الأدياد كلها .

ولم أمش فى حنازته لقد مات فى قلبى فى أعماقى فكل خطوة ألحطوها هى جنازته فأنا أضحك معه وأراه فى يقظتى وفى نومى . وفى يقظتى أكثر. وهذا الذى أراد هو الدى دفعنى إلى الإيمان نعالم الروح . فالذى أراد بهذا الوضوح لا تمكن أن يكون وهما وهذه قصة أخرى طويلة

وقصص أخرى طويلة .. فالبدايات لكل شيء بعيدة . ومعقدة . وترجع إلى الطفولة والشباب والرجولة . وإلى تجارب الحياة ومعاناة الفكر ، والعناء في الاهتداء إلى ميناء على شاطئ بجور الإيمان بالأديان .

وفكرت _ ولا أعرف لما فا بعد وفات أبى _ أن أؤلف كتابا عن الرسول عليه السلام , ووجدت أنني لا أستطيع , فأنا لا أعرف شيئا له قيمة من الدين , وكتب الدين التي قرأتها قليلة , فأنا أولا ثقافتي عربية وثانيا عربية وثالثا دينية عامة ورابعا إسلامية , إذن فأنا لست مؤهلا لشيء من هذا , ولكن استطاع أساتدة كبار أن يفعلوا ذلك ; استطاع العقاد وطه حسين والحكيم وقبلهم محمد حسين هيكل .

وكنت قد عرفت الساخر الشاعر الممزق كامل الشناوى. وفى يوم سألنا : من الذى يمكن أن يدخل الجنة من كتّاب سيرة الرسول : الدكتور هيكل أو طه حسين أو العقاد أو الحكيم !

وانفتح باب للمناقشة واحتلفنا فيمن الذي يستحق الجنة ولماذا . فقال كامل الشناوي ولا واحد من هؤلاء فقد كسبوا من كتهم عن الرسول ألوف الجبهات ولذلك لا يستحقون أجراً من الله على شيء .. لقد صفوا حسابهم مع الله ورسوله !

وعلى الرغم من أنها عبارة ماخرة ، لكنها استقرت فى نفسى . وأوقفت كل تفكير فى إصدار كتاب عن الرسول . ولابد أن تكون رغبتى فى إصدار هذا الكتاب هو إحياء ذكرى «محمد» الذي هو والدى أيضا . أو هو نوع من الامتنان له . . ولكن ما قيمة الامتنان لمن لا يشعر به . مات . راح . ولم يشأ الله أن أصنع له شيئا . أن أكافئه على ما بذل من أجلى ومن أجل إخوتى . ولم أنسه

یوما . و إنماكلها أكلت شیئا . أو سافرت إلى مكان . أو لبست . أو كسب أقول لنفسى لوكان والدى حیا . .

وأعتقد أنى أعطبت أمى كل ما تمنت ، وكل ما تمنى والدى أيضا . وأسعدنى ذلك . وأشقانى أيضا . فأنا أتمنى الكثير لها . ولكن لا أقدر إلا على القلبل ولم أفلح في أن أقنعها معلاج . وكانت تخفى عنى مرضها حتى جاء الموت فأنقذنا محن الإثنين من مرضها ومن حزنى عليها .

وكنت أخاف على أمى أن تذهب إلى الأرض المقدسة ، قالرحمة شاقة . وهى مريضة وربما ماتت هناك . وكنت أقول ها : إن البحر مياهه جفت . . وأقول إن ألوف الحجاج قد مانوا من ضربة الشمس .

وكانت تقول لى : ولكن أحداً لا يقول شيئا من ذلك . فأقول لها . إننا تعرف ذلك فى الصحف . ولكن الدولة لا تسمح بنشر هذه الأنباء حنى لا يترعج الناس !

وكانت نسكت مصدقة . أو تهدوكذلك . وقبل وفاتها بسنوات وجدت ها صديقة وفررت الاثنتان أن تسافرا لأداء فريضة الحج . ولم أجد حلا لهذا الموقف ، وخشيت عليها من مشقة الطريق ، ويشاء الله أن تموت هذه الصديقة وكان حزن أمى كبيراً ، إلها كانت تتمنى أن تموت هناك . ولكن هذه مشيئة الله . .

ووعدتها إن هي شفيت أن أساعدها على حج بيت الله , وأقسمت على ذلك ..

واختارها الله إلى جواره وفى قلبها نية الحج إلى بيته . وفى فلبي امل أن أحقق لها ذلك ..

وعرفت الطريق إلى قبرها , وقى يلنى كتاب الله ، أقرأ وأقرأ , وأهدى ما قرأت إلى روحها ، والتي أعلم أنها ليست هناك فى قبرها , فالأرواح ليس لها «مكان » , ولكن لم أفكر فى ذلك , وكل يوم فى يلنى هذا الكتاب . أقرأ وتجف دموعى ، وهى التي استعصت على عيني يوم مات أبي . فكأننى أبكيها فى وقت واحد . .

وأحسبت بالموت. وأحسبت بأنتي وحدى في هده الدنبا. الكل مات لم يعد أحد ، لم أستطع أن يكون لي أحد , وليست حياتي كلها إلا محاولة مستمرة ألا أكون وحدى وألا أكون بمفردي . فإذا فرأت فلأنبي أربد أن أسمع صوت إنسان آخر.. ولما اشتغلت بالكتابة وجدت أنني أقول للناس ولاأسمع ما يقولون. ولما اشتغلت بندريس الفلسفة في الجامعة ، فلكي أرى وأسمع ما يقول الناس . قأن كنت أفكر بصوت عال . وأسمع منهم ما يعجبهم ومالا يعجبهم. وبذلك لاأكون وحلى، وإذا أغرفت تفسى قى الناس فلكي لا أحدثي وحدى . ولكني ظللت وحدى وكلما وجدت تفسي بكيت على حالى وأدركت أن هذه أيضًا نهايني . كما بدأت خائفًا سأمون خائف _ لقد ولدت لكي أموت كما ولللت في الوحدة والحوف لاشيء لي الأأملك شيئًا . ضاع كل ماكان لى . واح الأب والأم .. واح الوزيد والشريان . راح القلب والعقل. واحت البداية وسوف تأتى النهاية يسرعة .. وفي مكتبي أقفل الباب وأبكى وإذا سمعت طرقا على الباب وضعت القطرة في عيتي ... حيى أصبحت أخجل من نفسي. وأحجل من عجز الناس عن التصليق. فهم لا بعرفول ما الذي أبكيه ولا ما الذي أبكي عليه .. إنني أبكي على نفسي ... بعضى ببكى على بعضي _ إنبي أندب ميتا في داخلي .. وأحمله .. ويحملني .. ولا أعرف أينا الكفن وأينا المشيعون .. وأينا الفاقد وأينا الفقيد ..

وضاق الناس بحالتي _ وأخفيتها عن العيون . وضاق الناس بما أكتب عن مى

وقال الأنثاء ليس صغيراً .

وقالت الأمهات ؛ ياليت أبناءًا كانوا مثلك أو واحداً على عشرة منك_ حتى على الموت لا أخلو من الحسد .

- _ ولكن ما فائله ما أقول ؟
 - ہے لاشیء ا
 - من الذي يسمعني ٢
 - ! 42 1 2 -

ما نهابه ما أقول وما أفراً ؟ ومن الله يستربح ؟ أنا أو هي أو هو ؟

- ــ إلني من المؤكد أستربع
 - ے ولکن إلى ماذا ٢
- إلى أنني أقول شيئا يريحني وأؤمل ـ أو أصبحت أؤمل ـ بأنه يريح روحها
 - _ من قال ذلك !

- لاأعرف ولكن هذا هو شعورى الني أزاها أسمعها أحلم بها وأحلامي صادقة في أزاه في نومي يتحقق بشكل ما هذه حقيقة وهي التي دفعتني وألقت ني في عالم الروح والإنجان بها وأن هناك فوى أخرى وأن هناك قوة المقوى عاقلة حكيمة وعن أمامها لسا إلا تملا بعيش على علة اسمها الأرض في مجهول شامع واسع لا لعرف له حتى الآن طولا ولا عرضا المران العالم الكبير اينشتني اليهودي يقول الانكل ما يواه بدل على أن الكون ينسع ويشاء لا أخذ عرف الكبير اينشاء الكون بنسع على شعة الكون للم

بدل على أنه يتجه بعيداً عنا بملايين الملايين من السنين الصوئية ا

ويوم أرسل أحد الأمريكان يرقية بسأله فيها : هل تؤمن بالله

فأجاب اليس أمام أى أحد إلا ذلك وإلا فلينظر إلى السماء وليسمع موسيقاها الرياضية , ولبقل بعد ذلك من هو هذا الموسيقار المهندس العظيم الذي وزاء كل شيء وكل نفس وكل عقل ؟!

واتجهت إلى دراسة سكان الكواكب الأخرى . لابد أن يكون هناك أناس أكثر عقلا أو أقل تطوراً . تماماكما في هذه الأرض . بدائيون ورواد فضاء . وسحرة وعلماء صواريخ . .

واتجهت بعد ذبك إلى دراسة ظواهر الروح والانشغال بها .. والإيمان بها .. والإيمان بها .. والإيمان العلماء الملحدين ، بإثبات أن الروح موجودة وأنها تظهر والإيمان مختلفة للناس . وبأنني وألك وأننا جميعا لاشيء . وإنما مرحلة عابرة في حياة طويلة للإنسان لا يعرف منى تنتهى ولا ما هي الحكمة منها ؟ فنحن لا ستطيع أن نعرف ذلك إلا إذا استطاع النمل أو النحل في بيتك أن يعرف معنى ما تبشره الصحف أو تقوله الاذاعة أو تقوله أنت عن النحل .. لا هي تعرف . ولا أنت تعرف ، ولكن اللذي يربح العقل هو أن يهندي إلى شيء . ولن نهندى إلى كل شيء فلا علم عندك ولا عمر أيضا

وإن لم تحد راجتك بنفست . فلن يهينها لك أحد .

وانعبارة الهندية تقول : أياكان اتجاهك . أين كان موقفك . وموقعك .. وقبلتك , فإن الله هو الذي يهديك ويستجيب لك !

آمت بالله . ا

قمن أبن جاء الحطر. ومن أبل جاء البرق. ومن أبن جاءت مباه الآبار والأمهار ! جاءت من مكان بعيد . ولحظة فى الزمان عيدة .. من أبام طفولتك .. ومن أناس سبقوك إلى الحباة ، والحوف منها والحرص عبيها . ومن أناس علموك كبف تستضى، ونضىء وتضاء لنهندى وتهدى !

> :: سعر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3

صورة رسمتها وعشت عليها قدغيرنتها ١١

ما الدي جرى لى فى العشر بن عاما الماضية اكثير جدا جرى لى وجرى بى .
ولكن أبن انجهت اللي كل اتجاه . فقد كنت مثل العنكبوت له عشرون عينا .
ومشبت وزاء عيونى . تينا وشمالا وانجهت إلى أعلى حاقى الرأس . ونظرت إلى
أمنفل عالى الرأس .

وأحست كأنني أبني بيوتا منيعة فوق الأرض أو تحت الأرض إنها حستني من مخاوف . فالإنسان صالع مخاوفه . وكل إنسان هو شيطان نفسه .. ولكن في نفس القوت حرمتني الماء والهواء والضوء

كأنى مثل رواد الفضاء المهوفيت الذين أقاموا فى خندق تحت الأرض بجربون كيف نكون حياتهم تحت سطح القسر فهافا فعلوا ؟ إنهم حولوا البول إلى ماء يشرونه ، وحولوا البراز إلى لحم بأكلونه - منتهى العطمة العلمية والعبقرية التكولوجية ، ولكن ما الدى شربوه وكيف كان طعمه ، وما اندى أكلوه وكيف استطعمه ه ؟!

كأننى خرجت من قفم وذخلت فى فقم أكبر. وخرجت لأدخل فى فقم أطول وأعرض .. وكل شىء حولى من الزجاج الشفاف. لكى أرى أوضح وأنا آمن .. ولكنى عندما اقتربت من جدرات القمقم تحول الزجاج إلى شىء معتم لأنلى أتنفس بالقرب منه .. وبالقرب من كل حدار .. فأنا الذي صنعت الزجاج .. وأنا

الذي حولته إلى حجر معتم. قَانَا الذي أَصْمَتَ أَمَامٍ عَيْنِي كَنْ طَرِيقَ للمعرفة !

بل أكرمن ذلك أنني لطرت إلى كل شيء حول .. ولكل لم أعرف الحجم الحقيق للأشياء والداس .. والوز الحقيق لكل قيمة . لماذا الأنبي كنت أستخدم نظارات عتلقة الألوان والزوايا .. فبعضها يجعل الدنيا واضحة وصغيرة . مثل المبكروسكوب يجعل الصغير جما كبيرا جلما ولكن ماهو الحجم الحقيق للدنيا ؟ ما قيمتها ؟ وما ضروري .. وما أهمية أن يكول لي رأى ؟ وأن يكول هناك أي وأي .. ثم ما أهمية أن يحول لي وراء كل شيء . وإذا عرف فما قيمة المعنى وراء كل شيء . وإذا عرف فما قيمة المعنى أن يكول في شيء إلى سلعة لها تمن ولها قيمة .. وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول في شجوا . وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول بديه كل شيء إلى سلعة لها تمن ولها قيمة .. وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول بنجوا . وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول ناجوا . وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول ناجوا . وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول ناجوا . وهل يستطيع الباحث عن المعنى أن يكول مفكوا أو فبلسوها !

سئل الحكم اليوناني ديوجين : أيهم أقضل عندك الرجل الحكيم أو الرجل الغين ؛

فقال بل الرجل الحكيم .

قَفِينَ لَهُ وَكِيفَ تَفْسَرُ وَقُوفَ الْحَكَمَاءُ بَأَيْوَابِ الْأَغْنِيَاءُ . وعدم وقوفَ الْأَغْنِيَاءُ بِيوت الحكماء؟

فقال ديوجين : لأن الحكماء بعرفون قيمة النزاء والأغلباء لا يعرفون قيمة الحكمة !

ولكنه زأى رجل حكيم مقلس عاش عاديا .. ونام مع الكلاب . وهو سعيد لمالك !

ودار راسي حولي . وكاله « ديث الربح « ينجه إلى كل ناحية . وليس له

أفق . ولا وحهة ولا قبلة . والذي ليس له هدف ، فكل الشوراع عنده سواء . .
وكانت كل الفلسفات والديانات عندي سواء . . فليس لى هدف ، ونيس عندي أي أمل في شيء ا وطالت حيرتى . وزادت متاعبي . وتقلبت على كل محدة . وتوجعت من كل سرير . . وصقت كل من يقرب منى . . فقد أحسست أن الناس كلهم مثل القلفذ شائكون وأنا عربان النفس ، مجرد الفكر ، محرق القلب .

وكنت أتصور أننى استرحت إلى ما هتديت إنيه وأننى أدمنت التفكير. ولأننى أدمنت لم أعد أمير بين فكرة وفكرة , ففقدت لذة الأشياء وانعدمت قوارق اللون ..

وفجأة نوقفت عن الأدبال . لا أعرف كيف . . ربما لأنى تعبت . وربما لأسى انتقلت إلى أدبال أخرى . وتوجعت أكثر . تماما كالذي يعتاد على الكيف أو المحدرات ثم يوقفها . كل شيء فيه يتألم . فكل شيء فيه قد اعتاد على أل يتوكأ على شيء تحت رجليه ونحت رأسه ووزاء ظهره وأمام عبنيه . . فالعبنال تستندال إلى منظار مربح . وأنا أعتمد على عصا ، ورجلاي تعتمدان على بساط يسمج من تحتما ، فأنتقل دول حركة ، لأل البساط السحري هو الذي يحملني .. وفجأة سقط المنظار والعصا والسحت امحدات وهرب البساط . وكادت حواسي تهرب من

تواءت أمامي صورة قلايمة وجديدة من الماضي البعيد والحاضر الأليم والمستقبل المخيف ، فالإنسان لا يستطبع أن يمشي في خط مستقيم ، ولا أن يفكر في دروب مستقيمة ، فاللماكرة تروح وتجيء ، مثل موح البحر ومثل هيات النسيم . ورأيت كأنبي جيلفر في بلاد الأقرام ، ربطوني بالخيوط ولم أعرف كيف أتخلص منها .. ورأيت نفسي مثل برومثيوس تأكل الصقور قلبي ، وأنا مخدر ، فأرى

تفسى مأكولا منهوبا وأخاف مما أرى . وأحمد الله أنبى لا أحبس بشىء . وأحلف من هذه الفكرة . فلا أرفع بها صوتى فيجردنى الله من تعمة بلادة الحس أو انعلمام الحس . فأصرخ مع كل ضربة منفار ومع كل قطرة دم وقطعة لحم . وتصورت نفسى ذلك الإنسان الذي خطفه النسر في قصص « ألف ليمة وليمة « . . ارتفع به إلى أقصى درجات العذاب . وانحط به فوق قمة جبل . صحيح أبه ارتفع به ، ولكن خوفه من السقوط كان أعمق . ققد سقط على قمة . منهى السمو والألم ا

فما الذي أقمته لنفسي . ما اللدي تسجنه لنفسي حول نفسي ؟ في العشرين عاما الماضية أحسست أنبي مثل و دودة القزء سنجت لنفسي بيتا ناعها رقيقا خانقا ! كفتا وبعثنا في غاية الأناقة . ومت فيه . أوكانني مت فيه !

ولا بهاية للصور التي رحمتها بعضى ، أو رحمتها لغيرى .. ومن المؤكد أن حبرنى بيس لها قرار .. وليس ضرب الأمثلة وذكر قصص التاريخ واخرافات إلا دليلا على أن كل شيء حاصر في ذهبى. وإلا أنتي غائب عن كل شيء فأنا سجين نفسى ، وأنا عبد لأفكارى . وأن الحر حقيقة هو الذي يقيد أفكاره ، ويطلق خياله .. أو هو الذي يأمر حواسه ، كأنها حاشية الملك ، فإذا هي نفعل ما يشاء . ولكنبي أحسست دا مما أنتي أقلية مضطهدة ، وأن الأغلبية من الحواس والأفكار والمخاوف والشكوك هي التي أقعدتني إلى الأرض .. وحولتني إلى الأرض تدوسها والمخلوف والشكوك هي التي أقعدتني إلى الأرض .. وحولتني إلى الأرض تدوسها كل الأقلام ..

وعلى سبيل المثال تذكرت دائما قصة «أوديب » .. فقد قالت العرافة لأبيــه الملك : سوف يقتلك أحد أولادك ...

وابتعد الملك عن زُوجته حتى لا يكول له أنناء . وهو قرار يذوب مع الكأس

أوالنشوة وحملت زوجته وأنجب وبدا وفرع الأب وطب من زوجته أن ترميه على الحبل حتى الموت وأخذته الحادمة وأشفقت عليه وعلقته من قدميه حتى تورمنا ولذلك سمى أوديب أى ذو القدمين المنفوختين وجاء رحل وأخذه ونقله إلى بيت إلى سيدة ليس لها أولاد وقى يوم قال به أحد الأطفال حسدا أو حقدا عليه وذهب إلى العرافة

فقالت ؛ أنت كذلك . ولا تذهب إلى بيت أبيك وإلا قتلته وتروجت أمك !

وذهب أودب الشاب ولتى بعض الجنود فقاتلهم . حتى فتلهم . وكان من بينهم أبود , وولى الملك رجل آخر تزوج أم أودبب . وظهر وحش فى الطريق يقتل كل إنسان لا يجب على سؤال : وكان السؤال من هو احبوان الذى يمشى على أربع فى الصباح وعلى اثنين فى الظهر وعلى تلاث عند الغروب .

وعرف أوديب حل هذا النغز فقال له _ إنه الإنسان . يحبو على أربع وهو طفل ، ويمشى على رجلين وهو شاب ويعتمد عل غصا وهو شيخ .

فالنحر الوحش لأن حقيقته قدا نكشف . (وكان الفيلسوف الألماني شو بنهور يلبس خاتما عليه صورة هذا الوحش وقد ألتى بنفسه فى الهاوية . لأد شو بنهور قد عرف الحقيقة) . وكافأه الملك على ذلك بأن أجلسه على العرش وتروج أوديب أمه . وأنجب منها ولدين وينتين .

وانتشر طاعون وقالت العراقة لن يذهب هذا الطاعون إلا إذا خرج الرجل الذي قتل الملك واستطاع أوديب أن يعرف من هو القاتل إنه هو نقسه قتل أباه وتزوج أمه وحزن لهذه الفاجعة وفقاً عبيه يبليه وصحبته أخته الإنتحر ويقال إلا أمه أيضا انتحرت عندما عرفت الحقيقة ا

فما المعنى ا

المعنى أن أسئلة صعبة وجهت إلى الناس. وأن واحدا استطاع أن يجب عنها فيا الذي أفاد من هذه البراعة وهذا الذكاء : حراب الدنياكلها ومأسانه هو في النهابة !

والمثل الشعبي المصرى يقول ؛ آفئي معرفتي . وراحتي ما اعرفشي .. فالمعرفة آفة . واخهل راحة ــ لقد عرفت الكثير فما أراحلي ا

وأحست كأنني موسى عليه السلام ذلك الطفل الصغير ألقته أمه في البيل حوفا من فرعون , وذهبت أخته ترقبه من بعيد , فلم النقطته امرأة فرعون استراحت الأم إلى أنه هناك , ونكن الطفل لم يرضع أي صدر , رفض الصدور كنها . وفي ذلك يقول القرآن الكريم ، لا وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم . وهم له ناصحون » . .

وجاءت أمه ترصعه ..

ولكنى نست وحبدا فى النيل ، لاأم ولاأحت .. ولا وعد تمرضعة جديدة .. فقد قلت كل المراضع ، وذقت كل لب ، وارتميت على كل صدر ، وفقدت لذة حناذ الأم ، أو المذهب الأم ، أو الدين الأم . فقد وجدت كل شىء ، ولكننى لم أتذوق شيئا ، الكل موجود ، وليس موجودا .

وصور أخرى كثيرة تعلّب بها رأسي فى كل اتجاه ، وكل يوم وكل ليلة ، وكل كتاب .

وفكرت في الخلاص من متاعبي وعداني بالموت ، وقررت وأنا في مدينة هافانا بكوبا أن ألتي بنفسي من فندق ، كوبا الحرة ، كل شيء جميل ولأنه جميل ولأنني لا أتدوق الألوان والأصوات والأفكار ، فكأسى ولدت أعمى وأخرس وأصم : لا أعرف أن أقول شيئا عن كل ما حولي ، وهده مناسة لأن بكور مونى

يفعة سوداء أو دامية في هذا الحمال وهذه الحياة . وفي يوم طلبت يوسف السباعي .
وفلت نه عندي شيء هام أريد أن أقوله لك . ويوسف السباعي على عادته مرح .
وقادر على أن يحول كل شيء إلى ابتسامة أو نكتة . وأمام هذه الهجة لم أجد ما أقوله واحترعت قصة لا أساس لها . وفكرت بعد ذلك : هل هذه فكرة حقيقية ؟ أو أنها فكرة طائشة ؟

هل انتقلت إلى نفسي عدوى الأدب همجواى الذى انتحر والذى له بيت فى هافاتا ؟. وما الذى يقال بعد ذلك تفسيرا لما حدث ؟ من أى مذهب سياسي هو؟ وما الذى ضايقه ؟ هل حاول أن يجعل موته عالميا ، فهنا تلتقى وفود القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ؟ ولكن من يعرفني من هؤلاء ؟ ولا واحد من الألف مليون من الصفر والسود والبيض ؟ لا شيء ! لا معنى !

ولكن مادمت أسأل . عما سوف يقوله الناس . فأنا إذن لا أزال أهتم بالناس وما يقوله الناس . إذن ليست هذه النية صادقة وليس المعنى واضحا في رأسي ..

وفى إحدى الليالى تحدثت إلى د. رفعت المحجوب ، وكان شريكى فى غرفنى ، وكان زميلى فى المنصورة الثانوية ، وفزنا نجائرة الدولة فى عام واحد : ما رأيك فى الانتحار ؟

فأجاب بمنتهى الهدوء وكأنه يتحلث عن بدنيهية رياضية وقال : جنون !

- elle !
- ـ هوب من الحياة .
- _ ولمافا لا يهرب الناس من الحياة ما دامت لا تربحهم ؟
- _ يحاولون _ بكافحون _ يقفون على حقيقة ثابتة _ أكثر هؤلاء المنتحرين ات

- لا أطل أسى جاهل ؟
- _ وما دخلك أنت ؟
- _ صحيح ما دخلي أنا ١٤
- وأكملت حديثي مع نفسي ﴿ وَمَا مَعْنِي هَٰذَهُ الْحَيَاةَ ؟.
- لامعنى لها. فتحن الله ي نجعل لها المعنى. ونجعل لأنفسنا القيمة. في المؤكد أن هذه الحياة كانت وسوف تكول من عيرى. فوجودى لاضرورة له. لست ضروريا لأى أحد..
 - _ إذن لمافا استراح أناس آخرون إلى حياتهم ؟
- أحسدهم على ذلك . ولكن لا أعرف كيف . إن كل إبسان قد اختار مايريحه . أو استراح إلى الذي اختاره . وأبعد رأسه عن هذه السخافات الفلسفية والدينية والتاريخية التي حشد بها رأسي حتى انفجر . إن الذي يتخيل في كل ليلة أن في غرفته عفاريت . . وأن في فراشه حشرات . . وأنه لن ينام حتى الصباح . . وأنه لو أغنى ولو لحظة فسوف بموت . إن مثل الإنسان ١ المسكون ١ لن ينام . !

وقد نام أناس لأنهم لم يفكروا فى شىء مما أقول 1 فعلى الإنسان أن ينتقى شيئا لرأسه ، وشيئا لعقله وقلبه ، وأن يتمدد رينام . ويصحو أصح لينام أهدأ ، ومن تومه الهادئ وصحوه الناعم ، تكون حياته اللينة

- وأقول لنفسى
- _ إذَانَ لا تُوجِد هِمَاكُ هُمُومُ فَكُرِيةً ؟
 - _ مثل ماذا ؟
 - أين الله ؟
 - _ لا أحد يعرف .

- + Jal > -
- is & l' -
- _ وما هو الله؟ وما حكمة هذه الحياة؟ التافهة وما معنى وجودنا الأكثر فاهة

- أما أن حياتنا تافهة . فهذا صحيح . فلا أحد يعرف معنى هذه الحياة وماحكمتها . وبحن لابعرف الله . لأن الله أكبر من أن يعرفه الإنسان . فالعقل صغير . والعمر قصير . والعلم لا حدود له . ف حن بعقولنا الصعيرة ، وبوسائلنا المتواضعة ، فريد أن نعرف الحقيقة المطلقة الواسعة الشاسعة ، التي لا أول لها ولا آخر . كيف ؟ إنني فائما أقول . كما أن الإنسان لا يستطيع أن يقيس السماء بالشبر ، فإن العقل الذي في حجم الشبر . لا يستطيع أن يحيط بالله ليعرفه ويفهمه . لاعندنا عقل ، ولا عندنا علم . ولا عندنا عمر . ولكن البشرية في معمرها سوف تعرف شيئا ما . فنحن لسنا إلا لحظات في عمر العقل أو محاولة الفهم عبر ملايين الملايين من الناس ، والملايين الملايين من السنين . وفي كل الحالات سوف تصدق علينا الآية الكريمة التي تقول ا ه وما أوتينم من العلم إلا قليلا » .

ـ بالأمس واليوم وغدا وبعد غد بملايين الملايين من السنين.

مثلاً: ما الذي تستطيع أن تقوله لطفل صعير عن نظرية النسبية .. ما الذي تستطيع أن تقوله لرضيع عن أشعة ليزر .. كيف تقوها وكيف تقنعه .. أنت لاتستطيع وهو عاجز عن الفهم .. ونحن في طفولة العقل الإنساني ..

وعندما كنت أدرس الفلسفة في الجامعة كنت أغيط تلامذتي وأحسدهم : إنهم بصدفون ما أقول . أي يصدقون مالا أعرف أناكيف أصدقه . استراحوا إلى

ولم أسترح إليهم . فهم أحس حالا .. إنني مثل شجرة تلسعها السسس . وق ظل هذه الشجرة بنام ويلعب أطفال صغار !

وكتت وصبة فقد قررت أن أنتحر مرة أحرى _ واستأذات زوجتي في شيء واحد . أن تسمح لى أن أموت تحت كتبي . وأن تكرمني بإحرافها معى .. فهذه الكتب لم تنفعني . وعندما أحترق أنا وكتبي أكون أنا الحريق والمحترق .. تكون كتبي هي الوقود ويكون شحمي هو الزبت .. وأصبح كما قال الشاعر كامل الشناوي :

حطمتني مثنما حطمتها

قَأَنَا مُنهَا وهي مني : شَطَايِا !

وكتت قصة طويلة اسمها ، عريس فاطمة ، والقصة ليست مريحة . وإنما هي أنا . وإذا كان الأدب الفرنسي يقول عن « مدام بوفاري ، بطلة قصته : اإن مدام بوفاري هي أنا فأنا أستطيع أن أقول عن فاطمة إنها أنا أيضا . . أو فاطمة التي لاتجد لها عريسا ، أو أنا العريس المجهول الذي انسدت الطرق في وجهى لكي أصل إلى فاطمة هذه . ولكن من الذي سد الطرق ؟ أنا . من الذي حعل حياة فاطمة وبيت فاطمة جهنم ، لا حياة فيها ؟ أنا أيضا . إنها حيرتي إنها دوختي أنا الذي انتدعتها . وأنا الذي خلفت مشاكلها : ومن بين مشاكلها جماها وشبابها ورقتها ، وحشونة الحياة حولها ، وصعوبة الأب والأم والإخوة والمحتمع كله . الما الحل ؟ لم أحد حلا وتوقفت بالقصة ، أو توقفت بي القصة قبل النهاية . وظلت دون تكلة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دون تكلة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربع سنوات ، وتذكرت أن قصتي مثل ، بيت الأحلام » في مدينة دونا تكملة أربيت الأحلام » في الريفيرا الإيطائية .

فالبيت لم يكمله الذي بناد وقال الناس إنه كالأخلام جميلة ، ولكمها ناقصة

إلى أن تتحقق. قدا الحل؟ بعد أربع سنوات وجدت الحل ، جاءت النطاة قى جاية القصة تحاكمسى وتسألنى أنت الذي جعلت كل شيء صعب بل مستحيلاً . ولذلك لم تفلح في أن تخرجني . إن المؤلفين عادة بجلقون الحل ، قبل أن يعقدوا المشكلة ، وينشئون الطرق والكارى ، قبل أن يفكروا في طريقة الهرب . ، ولكنك لم تفكر في شيء من ذلك ، هل ألت هكدًا ..

وقلت مع مكذا .

_ وما مشكلتك .

ـ كثيرة جدا مشاكلي ..

- وإذا كنت عبر قادر على أن تحل مشاكلك فكيف تحاول أن تحل مشاكل الآخرين .. إنك مثل الرجل الذي تحدث عنه الفيلسوف سقراط الذي حاول أن يعد حبات القمح في جبه الأيمن ، فلم يستطع ، واهتدى إلى حل لكي يعدها ، فلا جبه الآخر بالقمح أيضا ، لبحب ما في الجبين معا ، أنت أبضا عاجز عن حل مشاكل ل تحل المشاكل معا ، ولكنك لاتستطيع .

وانتهت القصة تمحاكمة البطلة . وحلها لشاكلي . ويقيت مشاكلها هي بلا خل !

ولعلك تلاحظ أنى أمنى فى عدة طوق فى الماضى والحاضر . لأن العقل الإنسان كذلك . قديمه واصح ، وحديده عامض ، ومستقبله لامع . والعقل بخاول أنه يفهم كل ماهو واضح عنده . فقط كل مايسفط عليه النوز . وهذا يذكرنى بنكتة ألمانية فلسفية : أن رجلا ظهر على المسرح وراح يبحث عن مفتاح ضاع مه رجل الشرطة ليسأنه : ماذا صاع مك ؟ قال . مفتاح ..

سأله الشرطى وأيل ضاغ منك؟ فقال الرجل في أول الشارع؟ قال الشرطى . في أول الشارع وتبحث عنه هنا في آخر الشارع؟ فأجاب الرجل بعم . . لأن هده هي المنطقة الوحيدة التي نها نور !

وأحست أبى مواطن عالمى .. أو على الأصح إنسان ليس له وطن . وتمنيت أن أكون لاحناً دبيا – إلى أى دبيل . أن أتوطن .. أن أطلب الحسية من أى معبد أن أجد الراحة من أى موقع .. قانا لم أخفر دبيى ، ولا أحد احتار ديد . وإنما وحدثنى على دبيى ، ولن أستطيع ، لا اليوم ولا غدا ، أن أدرس كل الأديان لأحتار واحدا منها وقبيلون في الدبيا هم الذبي تحولوا عر دبنهم إلى ديانات أخرى ، أكثرهم جواسيس على الأديان .. وأقلهم طيبون ٢

ولكن كيف أقطع دبني من بقسي . أوكيف أبني نفسي عن دبني . كيف أقتطع من نفستي ما هو جوهر نفستي ؟ لا أعرف كيف . ولكني أتصور ما يجدت للتعالب في المناطق الجليدية عندما تقع في المصيدة ، فإنها تمسك بأسانها إحدى أرجلها ، ولا تزال نقطعها وتبكى حنى تهرب بثلاث أرحل بعد أن تركت واحدة هناك منهى الألم والحرص على الحياة والنضحية من أحل الاستمراد .

ولا تزال الحياة أقوى من الألم .. ولكن المشكلة أن الذي أربد أن أقطعه أنباق العقلبة والوجلانية . ليس بدا ولا رجلا ، بل أكبر من ذلك وأخطر من ذلك إ

ولا أحد كلمة واحدة تعبر عن تعبى .. لا أعرف إن كان الدى أحست اسمه التعب . أو الارهاق .. أو الانهدام .. الضباع .. الشنات .. التبدد التفكك أو التلاشي .. لا أجد الكلمة المنامة ..

وصرفت نفسي عن الفلسفة ، وارتميت على علوم الحياة والنبات والفلك .

وعلى دراسات الجنس والسلوك الإنساني .. ودراسة ما وراء الحياة الإنسانية ، وأشكال أحرى من الحياة الروحية ــ هربا مما أنا فيه ..

ولا أقول إنني اهتديت إلى شيء، فأنا بائس من الاهتداء إلى شيء. وأصبحت أنحث عن نفسي في الناس والكتب، فلم أكن أستربح إلا لأناس مثلى، فكأنني أهرب من نفسي إلى عشرات الصور من نفسي .. وبذلك لاأخرج عن نفسي .. وإنما أجلس إلى نفسي ، وأمل ما أقول وما أسمع ..

وفى العشر السنوات الأخيرة حاولت كل هذا واسترحت إليه . استرحت إلى الهرب إلى شيء ممتع لى وللقارئ . وأدركت أننى أفوم شيء للآخرين . ولكن لا أحقق شيئا لنفسى . لانعمت ولا استرحت ولا اخترت . ولا يددت طلاما ولا أوهاما ..

ودارت بينى وبين كثيرين منافشات. وملك أسلحتى في النقاش ومن التلاعب بالأفكار، ووجدتنى أتحول من أحد حيوانات السيرك؛ إلى حيوان يمشى على الأرض. تحولت من حمامة تطير، إلى دجاجة على الأرض. واكتشفت أن بينى مصنوع من أوراق الكوتشينة : أرقام وصور .. ولكنه ليس بيتا يربح، يصلح لأن يحميني ويقيني ويصنى الأمان على نفسي ، وعلى أيامي ..

وكانت روجتى أبسط إيمانا وأعمق إحساسا بكل الحفائق المعقدة التي عجزت عن الإيمان بها . وكان القلبل من المعرفة الدينية يرجحها .. فهى احتارت الإيمان ، لأنها اختارت الدين .. أو اختارت الدين وأكسلته بالإيمان به .. هل هذا ممكن ؟ ممكن جدا عند كثيرين ا هل هذا يريح ؟ نعم عند كثيرين . قماذا أقدت لاشىء ؟ ماذا أرحت ؟ لانفسى ولا أجدا ..

ولا أعرف حقيقة من أين أثاها هذا الصفاء الروحي والشفافية الدينية ؟ إنها تعتمد على وجدانها على ماتحسة مباشرة على صلتها بالله . ووجوده الدانم معها ولها كيف؟ لا أعرف ولكنها مؤمنة بدلك ، مستريحة إلى ذلك . وطالت مناقشاتي وحيرتي ..

وفجأة ، كان كل مافي نفسي وعقلي قد تعب أو قد أضيء فجأة .. ورأيت مالم أر . وسمعت مالم أسمع . . شيء رطب مضيء مربح منعش في داخلي . انفنح شيء . . أطل شيء . . امثلات بشيء . . تسرب من داخلي شيء . لا أعرف ما هذا الشيء ولا أعرف كيف أحميه _ ولكنه هناك _ أو هنا _ وعدت أقرأ القرآن . وكثيرا ماقرأت . وعدت أقرأ الحديث .. وسرا ، وكأنني أنستر على حربمة ، قرأت كتاب ، عبقرية محمد ، للعقاد و ، محمد ، لللكتور حسين هيكل و « محمد » لتوفيق الحكيم و « على هامش السيرة » بطه حسين . _ و ، سيرة ابن هشام ، وماكتبه المستشرقون .. ولا أقول إن هذه القراءة كانت عملا واعبا وإتما وجلت نفسي مأخوذا مسحوبا منجذبا أو مجدوبا .. وفهمت مالم أكل أفهم ... وعرفت مالم أكن أعرف . . واكتشفت أنني أجهل الكثير حدا . . واهتديت إلى الإسلام أبسط الأديان وأكثرها تجربدا وأعمقها فها للإنسان والعلاقات الإنسانية ، وأن تشريعه شامل . . وأن كل شيء فيه لم يقع له تحريف . . كل شيء باق منذ 12 قرنا . . ولم أشأ أن أقول هذا لأحد ، ولكن ماذا لو قلت ؟ لم أجد إحابة عن هذا السؤال ، هل إذا وحدت إجابة عن السؤال هل أكتب ذلك ؟ نعم وما اللَّذِي يَمْنَعْنَى . . إنني كتبت عشرات السَّنيِّ ومشى وزائى مثات الألوف من الشمان وانجهت بهم إلى كل وجهة إلا الدين . . فلم يكن الدين همي . فقد كنت مشغولا بكل الأديان .. أو بالأخلاقيات الإنسانية العامة في كل العصور .. ومن العدل إذا فهمت أن أقول . "وإذا اهتديت أن أهدى . وإذا آمت أن أدعو

للإتيان ، كما دعوت إلى أشياء أخرى كثيرة . وفي حرارة الشباب ومنطق الرجولة وتخصص الفيلسوف . .

وجاءت فكرة أداء العمرة , ومن غير تفكير وافقت , وبعد أن وافقت رحت أفكر ، كيف أفعل ذلك ؟ ثم ماذا بعد ؟ وماذا يقال ؟ ومن الذي يقول ؟ وماذا يخيفني أو بجرجني في ذلك ؟

نعم هناك مايخرجني . قأنا نست من رجال الدين ، ولا كان من الممكن أن أكون ذلك ... وبالدراسة لست من رجال الدين ولن أمتطبع لأن الذي أعلمه قليل ، والذي أفهمه أقل من القليل . وعمري لا يتسع لشيء كثير من الدراسة الدينية المتأنية .. أما الدي يحرجني فهو أن أحرج عن الصف الذي سرت فيه . وأن أقفز من بروار الصورة التي وضعت نفسي فيه .. وهذه الصورة من صنعي .. أفقز من بروار الصورة التي وضعت نفسي فيه .. وهذه الصورة من صنعي .. وعرفني الناس بها .. وإذا ظللت حريصا على أن أبدو مطابقا لصورتي ، قأنا إذن تحجرت على وضع . تجمدت على صورة . وأصبحت صورتي أقوى مبي ـ هي الصنم وأنا عاشقها , صنعنها وعبدتها . أنست وثنيا .. أعد نفسي .. من المؤكد الني لست كذلك .. ولكن فقط هي الأصل وأنا الصورة .. أو هي الصورة وأنا العفرينة ، .. .

ولكن ماذا لوحصل ماذا أخاف أن يحصل ؟ لا أدرى .

وكان لابدأن أضع قوطتين واحدة فوق والثانية تحت وفوقها حزام من الجلد. وكان امتحانا عسيرا . واجهت الناس في البيت . وتفاديت أن أنظر إلى عيومهم . فأنا أكثر دهشة منهم . وحفت من البرد . فأنا شبه عربان واضع رجلي في . شبشب من الحلد اسمه ونوية _ يلبسها الفقراء في مضر ، ويلبسها كل الناس إذا

ذهبوا إلى الأرص المقدسة .. يطوفون بغيرها حول الكعبة ، ويسعون بها بين
 الصف والمروة سبعة أشواط .

وتأخرت الطائرة عشر ساعات وعدت إلى البيت. وكان رمضان ، وتحيرت هل أخلع ملاسى . أنا أعرف أن هذا حرام . هل أستطيع أن أضع روبا فوق ملابس الإحرام . لا أعرف . سألت الصديق عنمان العبد ، فقال ما أعرف ، وحاولت أن أجد الشبع الباقوري فقبل لى إنه يتناول إفطاره خارج البيت . وسألت عن الصديق أحمد فراج ، وكان يفطر في غير بيته ، ولكن هذا العام وأيت الشبخ أحمد طنطاوي في التليفزيون السعودي يقول : ممكن أن تضع الروب فالدين بسر !

وسألت الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف ، فسألنى : من أنت ؟ قلت ؛ مواطن من مصر ، فأجاب : ممكن جدا أن تضع البالطو أيضا إذا كانت هناك ضرورة لذلك

وعدت إلى المطار ، ولاحظت أنني أحاول أن ألملم ملابسي ، ولم يكن لذلك أى داع ـ إنما أنا أريد أن أصرف العبون عبى . أو أحاول أن أفول للناس إنبي غير راض عن الذي أعمله ، أو أنني مرغم صحبا على ذلك . . ووجدتني أغطى رأسي وأسحب الفوطة حتى عبني . وكان سلوكي هذا نوعا من التخلى . نوعا من إنقاذ صورتى الني عرفني بها الناس ـ وكلها محاولات صغيرة تؤكد أنني أفلفص وأنني أقل إيمانا

وقى الطائرة ومع الناس ومع أصوات الملبين أحسست أننى فى مسجد فى السماء . وأن أصوات الناس وهم يقولون : لبيك اللهم لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لاشريك لك لبيك ..

شىء من دفء ثم حرارة ثم كهربة . ثم ارتعاشه ثم زلزلة ، ولم أشعر بصوت المحركات ولا بالوقت . وقجأة نزلت الطائرة فى مطار جدة عند العجر . ولم أسأل نفسى ولما قا هذا اللبس بالدات ، أو لما فا عدم اللبس . ووجدت أنه سؤال لامعنى له . . نحن لا نسأل أنفسنا لما فا نرتدى البيجاما فى البيت ، والبنطلون خارج البيت والكرافئة فى الرسمبات والمابوه فى الصيف ، ونتعرى أمام الطبيب دون مناقشة . . فهذه الملابس ها معان كثيرة . فنحن نتجرد من كل شىء . . لنكن أمام الله عواة . محردين من الملابس ومن المشهوات ومن المحاوف أيضا . . وأن نساوى جميعا ، من بجد النوب ومن لا بجده . . وفى ذلك طاعة وامتثال .

وفي سيارة انتقلت إلى مكة وفيها أول بيت وضع للناس : الكعبة . والكعبة مركز الإسلام. والحجر الأسود أقيمت عليه الكعة . والمسجد الحوام أسواره عالية . كأنه بفصل دبنا عن دبن . وبشرا عن ملائكة .. وكأنه حائط صحى ، أو حجر صحى .. فالداخل مريض والحارج سليم .. الداخل ثقيل الدنوب ، والحارج بلا ذُنوب ، فالله غفور رحيم .. غفور لحطايانا ، وهو لذلك رحيم بنا ــ المعنى أمل وراحة ومثوبة على هذه الرحلة لم نتعب فيها لأذهابا ولا إيابا ... وإنما فقط تعب الناس في الوقوف والانتظار . أي تعب الناس من الناس .. وتعبت أيضًا في محاولاتي الشكرية حتى لا أكون كما عرفتي الناس ، ولم أعد يهمني ذلك . بعد ذلك . . فهاده صورتي . والذي يتغير هو البرواز فقط . . وكما ينبت النرحس من البصل ، وكما تنبت الفاكهة من الطين ، خرجت صورة أخرى لشخص آخر . حرجت صورة أخرى لنفس الشخص .. وكما نحدث المعجزات المسيحية فتسيل لوحات القديسين زيتا أو دما ، كذلك بدأت تنبض صورتى بالحياة ، بالحياة الأخرى ! ولماذا لا ؟

وتقدم منا طفل صغير . وقال : هل أطوف كم وأسعى ؟ قلت , نعم ...

إنه طفل ولكنه يعرف ماسوف يقول الإننا نصلي وهو يعمل وكان الطفل يطوف بنا ويرفع صوته بأدعية مكسرة الحروف ومليئة بالأخطاء المحوية إله صغير ولم أحاول أن أصحح مايقوله الطفل وأنا أردد وراءه الفلواعد النحوية لاتهم الآن القواعد النحوية مثل البروتوكولات ومئل أصول الجلوس والوقوف والأكل والشراب والتحية والبروتوكولات لاتهم وأعطيت عقلي أجازه وأطلقت سراح قواعد النحو والصرف ورحت أردد وراءه مايقوله وقي وأطلقت سراح قواعد النحو والصرف ورحت أردد وراءه مايقوله وقي الشوط السامع حول الكعبة كان يقول اللهم إلى أسالك إيمانا كاملا ، ويقينا صادقا ، وررقا واسعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وحلالا طيبا ، وتوية نصوحا ، توية قبل الموت ، وراحة بعد الموت ، رب زدني علما ، وألحقتي بالصالحين ،

وعندما نزلهٔ الى بئر زمزم .. نسيها وشريهٔ قبل أذان الإفطار . ولكن ولاذنب له ، فقد كان ذلك سهوا .

وكان الطفل وتحن وزاءه نقول : اللهم إلى أسألك علمًا نافعا . ورزقا واسعا . وشفاء من كل داء وسقم ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

واتجهت مع الناس إلى حيث السعى بين الصفا والمروة ، كماكانت تفعل هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام بحثا عن الماء . . ويبدأ السعى عادة بهذه الآية الكريمة :

إن الصفا والمروة من شعائر الله ، فئ حج البيث أو اعتمر ، فلا جناح عليه
 أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ،

وخرجنا من المسجد الحرام إلى الشارع .. إلى الدنيا .. انتهى كل شيء .. النهى ماجننا من أجله .. وما بعد ذلك راحة ومتعة ، وقبل أن لبحث عن

فندق .. حلعنا ملابسنا في الشارع ، وارتدينا الجلباب أما النوم علا مكان لأحد ، وأخبرا عثرتا على بيت لم يتم بناؤه . واشترى صاحب البيت أو مديره مرائب من الكاوتش .. وتمنا على الأرض .. واستأذنا في الليل إن كان يضايقنا أن بنام آخرون أمام الغرف . وأن بنام رجل طاعن في السن ، في التواليت وفي الناتبو بالنات ، ولم يعترض أحد على نوم الرجل الشيخ ، وإنما أشفقنا عليه .

ووقفت مع عثمان العبد أمام هذا البيت. الذي أصبح مندقا الآن. نتاقش في الطريقة التي ندهب مها إلى البنك _ ولم نجد معنا فكة _ فمر علينا رجل وأعطانا كل واحد ريالا , وشكرنا له هده المروءة , وبعد لحظات اكتشفت أن هذا الرجل شحاذ .

وخجلت من ذلك ، وحاولنا أنَّ نعطيه مما معنا ، ولكن لا توجد فكة . ولكن لابدأن حالتنا قد هزت قلب الشحاذ ، فأعطانا هذه الحسنة .. ولم يظهر فى اليوم التالى . فتصدقنا بربالات على شحاذين آخرين !

وضطت نفسى أفكر فى هذا الذى فعلت ، ولكن ما الذى فعلت ؟ لاشى ، يستحق الاهتام ، مالم يكن هناك إيماد به وراحة قبله وبعده .. وراحة هادئة دافئة سخية .. وأظن أن هذا ما أحسست به ، كأننى كنت أمشى بين الناس باسم مستعار . والآن أصبح الناس يعرفون اسمى .. كأننى كنت أنوارى وراء لوحة واثفة .. بعيدة عن طبيعتي ، ولكنها قريبة من قلبي .. والآن أنا الصورة ويداى هما البروار .. وإيمانى هو المسهار الذي يحسك الصورة ويثبتها على جدران السماء وأبقت أننى ارتويت ، لأننى شرت من يترى ، لا من أنهار الآخرين .. وأننى فنحت قلى ، أوسع مما فنحت قبى ...

فليست المعرفة فقط هي التي تولد الإيمان ولكن الإيمان أيضاً يولد المعرفة ، فالإيمان مثل « أملاح الهيبو » التي توضع فيها الصور عند التحميض . . إن هذه الأملاح هي التي تبرز الصورة ثم تثبت ملامحها . . ومثل الصمغ الذي يمسك الأشياء . . ومثل السوائل التي تثبت الحيوط في الموحات . وتثبت شكل الشعر . . وتثبت ألوان السيارة والطائرة .

وآدم وحواء طردا من الحنة لأنهها عرفا أنهها قد ارتكبا حطيئة .. وتعطيا بورق التوت لأنهها عرفا أنهها عاريان .. ولكن لولا هذه المعرفة البسيطة والرغبة فيها ، ما كانت هذه البشرية على الأرض ، والمعرفة مؤلمة . ولكنها ضرورة مؤلمة وحيوية ..

وفى قبائل الأشانتي بأفريقبا يقولون إن الله خلق آدم وحواء فى المجة ، وخلق اثنتي آخرين هما آدم وحواء على الأرض ، ونزل آدم وحواء من السماء إلى بلاد الأشانتي ، وعاش هؤلاء الأربعة دون أن يعرفوا كيف يتناسلون , ويفال إن حية مخيفة ولكنها ليست سامة . حاءت فى أذن السيدتين وقالت لهما : لما ذا لا يكون لكما أبناء .

ولم تكن السيدنان تعرفان ذلك . وجاءت الحية وطلبت إليهما أن يتواجها .. رجل وامرأة وأن يتقاربا .. وسوف تجيء الأولاد بعد ذلك ..

وجاءت الأولاد . وضاقت الأمهات والآباء بالأولاد . وراحوا بلعنون الحية التي دلتهم على العداب عن طريق اللذة .. أو على اللذة التي تؤدى إلى العداب .. وملايين العداب ..

ومن أعياد الأشانتي أن الرجال يقدمون الحية ، والنساء يلعنها , ولا أطن أن هذا معقول ، فن قال إن الرجال بلا عداب ، وإن النساء بلا لذة ..

وآخر تطور لديانة الأشانتي أن أصبحت الحية حيوانا مقدسا .. أى اتفق الرجال والنساء على حيوان هام فهي أم المعرفة ، وأم الحياة كلها .. وأنها هي المعرفة وأنها هي الإيمان بها ..

وأن المعرفة لانستحق اللعنة ، إلا أنها ضوء إلى الإيمان ، وأن الإيمان لايستحق الملعنة لأنه راحة في الضوء وفي الطريق إلى أن تعرف أنفسنا وغيرنا ، فنعرف الله والكون ـ على قدر ما تستطيع !

ثم كان الطريق الطويل جدا إلى المدينة قصيرا .. هكذا كان إحساسنا .. وجاء المغرب وتزلنا نتوضأ من ماء المطر .. واتجهت إلى مكة . وصلينا . وبسهولة تم كل شيء . بلا تفكر .. واسترحت إلى أن شيئا ينم دون أن أقوم باستفتاء مباشر في داخلي . فيقول العقل . لا .. ويقول القلب . نعم ..

ونتردد أصوات ضاحكة ساخرة. ومحاولات أخرى لإسكات كل الأصوات. ولكن ثم ذلك بلا صوت ولا حرّكة ولا حرج.. وانتهزت فرصة لأترجم على والدى. كما ربياني وتعذبا وتعذبت صغيرا.

وفى المدينة أحسب بشىء أقوى مما أحسب به فى الكعية .. فى مسجد الرسول قد دفن الرسول وأبو بكر وعمر .. هؤلاء أعرفهم وأنحي للعظمة والعبقرية والإبمان وانتضحية والبساطة .. هنا شخص غير معالم الدنيا . هنا شخص كفر به أهله . وتبعه غيرهم .. ثم تبعوه . شخص لم يتعلم القراءة والكتابة . ولكن الذي يقوله فلسفة . وحكمة . وفهم للنفس والعلاقات الاجتماعية والسياسة والحكم والحرب ودعوة إلى ما هو أفضل ، من أين تعلم ذلك كله .. هذا الواعى للغلم الأمى .. ما هذه الأحاديث . ما هذه الأحكام "

ما هذه التفسيرات . ثم ما هذا القرآن . كلام ليس له مثيل ولانظير . ولا من

عنده إنه يتعلمه أولا بأول . ككل الناس . لا دخل له فيما يوحى به إليه _ إنه شخصية عظيمة . تعلب ومرض ومات . وتعذب أكثر من الناس ، ومرض ككل الناس ، ومات لأنه ما دام فد ولد ، فلابد أن يجوت . إنه إنسال من رحل وامرأة ، وكانت صلعة المسلمين بركانية عندما مات . لقد نسوا أنه سوف يجوت . بل إن أبا بكر بكى عندما سمعه يتلو الآية الكريمة . اليوم أكملت لكم دينكم وأتمنت عليكم بعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ، أدرك أبو بكر أن دينكم وأتمنت عليكم بعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ، أدرك أبو بكر أن كل شيء قد تم وأن صاحب الرسالة قد بلغها ، ونيس بعد ذلك إلا الموت . ولم يخطر على باله أنه سيموت

تغير الكئير في داخلي

وأعتقد أننى كنت مثل سفن الفضاء التى تعرصت بطاريتها لأشعة الشمس و فامتلأت لقد امتلأت بكل ماهو مربح ومضى، وأننى أعتسلت من أشيا، كثيرة ، وأن رواسي قد أزيلت ، وأن هوائى الملوث قد ننى تماما وأن دمى قد نقل خارجى ، وأن دماً جديدا بجرى فى عروق .. كأننى ولدت .. أو تولدت من شىء آخر.. أو من كائن آخر .. وإلنى عدت طفلا فى كعبة المعرفة الإنسانية وجنيا فى بطن الدين .. وإننى فى حاجة إلى احبل سرى « أتغدى منه

ولا أعرف كم تطول هذه الطفولة ، كاسى آمنت بتناسخ الأرواح .. وكأن روحا أخرى قد حلت بدقى .. وشيئا غريها آخر عرفته : كأن الأجسام لاتتعب . ولكن الأرواح هى التي تتعب فإذا نعبت أرهفت الأجسام . كأن السائق الدى يسوق حياتى ، كان محمورا مسطولا قلقا ، وجاء سائق جديد ، يداه أكثر استقرارا ، وقدماه أكثر اترانا ، والطريق أمامه أوضح ، والهدف أقرب

كأنبي لست أنا ..

ولا أعرف كيف أعبر عما أعرف ، وعما سوف أعرف ، لا أعتقد أنني قادر على ذلك . فأنا حديث العهد بكل المعانى الدينية ، وحديث المعرفة بنفسي الرضية .

وتذكرت الفتان الكبير جوجان عندماكت في ا يومياته الشخصية ، عندما هرب إلى جنات المحيط الهادى .. كتب يقول : اأريد أن أحب ولكنى لا أستطيع .. أريد ألا أحب ، ولكنى لا أستطيع ! ولكن من المؤكد أننى سوف أستطيع .. أن أحب ! » .

صفاءعقىل وانشراح صَدر ووضوح رؤية إ

مَنْ هُوَ اللَّهُ ﴾ وأينَ ؟ وكيف ؟ ومنذ منى ؟

وليس أسهل من أن أفتح أى قاموس فلسنى أو دينى وأنقل عشرات ومثات وألوف العيارات التى بقيت لنا من كل العصور للإحابة عن مثل هذا السؤال .. فكل الأسئلة سهلة .. ولكن الصعوبة فى الإجابة .. وأصعب من أبة إجابة أن تكون مقنعا لمن يسألك ..

وقد تطور معنى الله وصورته عند الناس . من أيام الحياة البدائبة . إلى الحياة العصرية ، كل عصر بختار المعنى أو الصورة التي تربحه أو التي يستريح إليها . . ومن المؤكد أن الإنسان يختار الله على صورته هو .

مثلاً وأعود إلى دوائر المعارف الفلسقية والدينية _ يقال : إله الزنوج لابد أن تكون له شفاه غليظة ، وشعر مجعد وخدود أبنوسية ، وإله الإغريق كان مئلهم أشقر الوجه ، أصفر الشعر ، أزرق العينين !

> والشاعر جيته يقول : كما يكون الإنسان يكون وبه ! الله يدخل إلى الإنسان من باب سرى ! الطريق إلى الله يبدأ من هنا ; من القلب ! الله آهة في ضمير الإنسان لم يفصح عنها بعد !

:: سعر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3

الإنسان عضم حي . والله هو الحياة إ

هناك دليل أكبد على وجود الله . هذا اخير وقوانين السلوك الأخلاق والاجتماعي التي تواءت لرجاله الطيبين من الأنبياء والأونياء والقديسين ا

_ قاها تولستوى ا

لو عرفت الله ، لعرفت أنه قادر على كل شيء !
يقول سرفانتس ؛ عندما يشرق الله ، فإنه يشرق للجميع !
إله المتوحشين متوحش ، إله التجار تاجر ، إله الصليبيين صليبي !
حيثًا يكون سلام ، يكون الله !
لم يخسر شبئا من لم يخسر الله !
كل إسان لنفسه ، والله للجميع !
كل إسان لنفسه ، والله للجميع !

ويقول القرآن الكريم: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدَ ، اللَّهُ الصَّمَدَ ، لَمْ يَلْدُولُمْ يُؤَلِّدَ ، وَمُ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحِدُ ﴾ .

، قال أغير الله أبغى ربا ، وهو رب كل شيء ، .

ه إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماه ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم بعقلون « .

لا قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أياما تدعوا ، فله الأسماء الحسني » .
 د ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو ، خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل

شيء وكيل ، لاندركه الأنصار ، وهو يدرك الأنصار ، وهو اللطيف الحبير » .

وقال لموسى عليه السلام ، لن تواتى ، ولكن انظر إلى الحبل فإن استقر مكانه فسوف تراقى ، فلما نجلى ربه للجبل ، جعله دكا ، وخرَّ موسى صعقا ، فلما أقاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين قال : ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما آتيتك ، وكن من الشاكرين ا

ه ما اتحد الله من ولد ، وما كال معه من إله إذا لدهب كل إله تما خلق .
 ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ،

وآیات أخری کثیرة فی الفرآن الکریم . أوضح وأعمق من کل ما قبل فی وضف الله ووحدانیته وقدرته المطلقة علی کل شیء .

أنت على نحو ما صورة مصغرة من الله ا فى وجوه الرحال والساء والأطفال ، أرى الله ا يقول باسكال : الوجود الأبدى ، يجب أن يكون أبديا . و إلا لامعنى له ا إذا كان الله معنا ، فلأننا معه ، وإذا كان معنا ، فلا أحد ضدنا ! يقول شو : احترس من كل إنسان انخد له إلها فى السماء ا من يكون خادما لله ، فقد اختار له سبدا عظيما جدا ا الله نجب الأفعال ، ولا نجب الأقوال ا

أنت تستطيع والله يريد !

قَالَ فُولَتَيْرِ ﴾ إذا لم يوجد إله , فن الضروري للإنسان أن يُحلق لنفسه إلها إ

ساعة وجدناها على الشاطئ. الساعة تدور. لابد أن أحلم صنعها. هذا الأحد في مكان ما في زمان ما !

ليت الساعة ولكن الزهرة ، إن الساعة نظام ولكن الزهرة نظام حي _ وهذه أعقد وأصعب وأروع من ساعة وجدناها على الأرض .

الله تستطيع أن تتخيله ، لا أن تراه ، وأن تحسه لا أن تصفه ـ عبارة مشهورة للفديس أوغسطين !

> مَنْ يَخَافَ الله مَ يَخَافَه النَّاسِ إ إذَا لَمْ تَلْتَقَ بِاللهُ فِي أَي مِكَانَ ، فَلاَنَه الأمكانَ لك !

وليس في قدرة الإنسان العقلية أن يعرف الله ولا أن يفهم قدراته ولكي يفهم الإنسان لابد أن يحيط بالشيء . أي يكون هو أكبر من الشيء الذي يويد قهمه ، وأن يقلمه في يديه أمام عينيه . وبحدد أبعاده ووزنه ، وأن يصبح قادرا على أن يملأ به نفسه . . وأن يبعده عن نفسه بعض الوقت ليتأمله . . وهذا غير ممكن للإنسان في أي عصر وفي أي شيء . . ومن أي ثقافة أو فلسفة .

مثلا: ما الدى تراه فى الشارع الذى تمشى فيه كل يوم: أنت تنظر إلى الأرص معظم الوقت ، حنى لاتصطدم برصيف أو بالوعة أو طوبة أو بالناس أو السيارات ـ فلا ترى ما فوق رأسك ، ولا ماتحت قلميك ، ولا قدميك .. فإذا كانت لك سيارة قما الذى تراه من نافذة السيارة .. إنك ترى كل ما هو فى مستوى رأسك وفى محال بصرك . فإذا ركبت طائرة قما الذى تراه من مدينتك ، من بلدك من الأرض .. وأنت فوق السحاب .. وما الذى يراه الطيار نفسه ٢ ـ وإذا ركب الطيار إحدى سفن الفضاء .. فما الذى يراه الطيار أحدى سفن الفضاء .. فما الذى يراه على القمر فما الذى يراه على القمر فما الذى يراه على القمر . وإذا وصل إليه الذى يراه على القمر . وما الذى يراه على القمر . وما الذى يراه على القمر فما الذى يراه على القمر . . أقصى ما وصل إليه

الإنسان أنه مشى بضعه كيلو مترات وجمع بعض الأحجار وعاد إلى الأرض فى حفظ وصيانة عشرات الألوف من الرجال والأجهزة الالكترونية تحسب عليه أنفاسه وحوعه وعطشه وعرقه ودقات قلبه وزراير بنطلونه . فما الذي رآه . إن الشاب العبيط حاجارين ، أول رائد فضاء ، عندما ارتفع فى الكوكب الصناعى قال : ولكنى أم أجد الله !

هذه عبارة ساذجة تدل على أنه إنسان بسيط سائق مركة فضائية فقط مشدود إلى عشرات الأربطة ، منظور من عشرات العدسات ، ويرى الفضاء الهائل أزرق أو أسود ، ويرى الأرض كرة حمراء منفوفة بسحب بيضاء ، ولم يجد الله ، كأن الله كوكب يظهر لمن يرتفع عن الأرض مائتي كيلو متر ، وماهذه الكيلو مترات في هذا الفضاء الذي يقاس عملايين الملايين من السنين الضوئية (السنة الضوئية الواحدة ١٨٦ ألف ميل ٪ ٦٠ ثانية × ٦٠ دقيقة × ٢٤ ساعة × ٣٦٥ يوما = ... احسها أنت ثم اضربها في ملايين الملايين الملايين الملايين الملايين الملايين الملايين الملايين)

ما الذي نواه في عالمنا المحدود .. إلغا نوى خزءاً نافها من كل شيء .. وعندما استخدم الإنسان العدسات المقربة . اتسع حوله الكول . فالعدسات ليست إلا بديلا منطورا للعين المجردة .. وبعد ملايين السين سوف تنظور أدوات الرؤية والحساب . وينظور العالم من حولتا وينسع وندرك صآلة الإنسان وما بعرفه الإنسان .. ويصعب عليه مرة أخرى أن بعرف من هو الديسان .. وما يستطيعه الإنسان .. ويضعب عليه مرة أخرى أن بعرف من هو الديسان ..

فالإنسان لا يستطيع أن ينظر إلى الشمس بالعين انجردة . وإتما ينظر إلى قرصها في الماء ، أو من خلال منظار أسود . والإنسان لا يستطبع أن يرى الله ، وكيف ؟ وعندما سأل موسى ربه قال له الله . لاتستطبع . وما أشار الله إلى الجبل . . أو

لمسه . أو أشع عليه . تحطم الجبل ، فكيف نو حدث ذلك لموسى نفسه . فالإنسان هو هذا الموسى الذي يريد أن يرى لكي يصلف ، ولابد أن يصدق . فاذا حدث , حدث مالم يطقه موسى ..

ولو نظرتا إلى ما تحت المبكروسكوب إلى خلية حية .. لوجدناها تورة حياة منظمة . والعين المجردة لاترى الحلية . ولكن المبكروسكوب يستطيع . وسوف نتطور هذه العدسات المكبرة فتصبح الحلية مبحركة حية مثل ملعب كرة القدم ولكن في نظام محكم . إن النجوم في السماء لبست قطعا من الأحجار متواؤنة الحركة والدوران حول نفسها أو حول غيرها .. ولكن الحلية الضئيلة الحية هي شيء يبعث على الرهبة ، وعلى الانحناء لأتفه مخلوقات الله _ إذا صبح أن نقول إن الله خلق شيئا تافها ا

والإسنان حيوان متدين

أى لابد أن يجد تفسيرا لما يراه وما يفكر فيه .. وما يخاف منه ، وما يطمئ اليه . ولذلك فكل إنسان له دين اللك يؤمن والذي يكفر دين سماوى أو أرضى أو سياسي أو اقتصادى . وفى كل دين أناس لهم عظيم الاحترام أو القدامة .. ولهم أقوال . وهده الأقوال هي علامات بوز في طريق الحياة المظلم الشهوات الإنسان وأحقاد التاس ومخاوف الحاكم والمحكوم . إن الحياة طوفان بشهوات الإنسان وأحقاد التاس ومخاوف الحاكم والمحكوم . إن الحياة طوفان وكل طوفان يكون له نوح . وتكون لنوح سفينة . ومهاكان نوح نبيا ، فإنه سبجا في أقرب الناس له من يعصاه _ نوح عليه السلام كان له ولد عصاه وعرق ..

وكل الأذبان تدعو إلى الصلاة . وتدعو إلى الصوم . والزهد في الحياة والسلام بين الناس . وكل الأديان تدعو إلى الحج إلى الأماكن المقدسة . ولك

الإسلام نيست فيه وثنية . لاصنم ولا أحد مقدسًا ، إلا الله .. والإسلام أكثر الأديان تجريدًا

وقى الأديان الأخرى من يعبد صنها ، أو يعبد شجرة أو بقرة ... أو نورا ، أو
 الرا ... أو يتحنى أمام صليب أو أمام قدس الأقداس وتوراة موسى ..

ولكن من الضروري أن نعود إلى حياتنا ونحن صغار ونتساءل . كيف تعلمتا الحساب !

كَانُ يَقَالُ لَنَا : واحمد . أي برتقالة .

ويقال: اثنان: . . تفاحتان ..

ويقال: ثلاثة كلاب ..

وبعد ذلك تجيء مرحلة تقول: واحد.. اثنان.. ثلاثة . من أى شيء.. من الأشياء المادية أو غير المادية ..

ولابد أن بعص الأديان قد ظهرت في طفولة العقل البشرى ، فهي لم تصل إلى التجريد . . وكان لابد أن يقال لها : إن الله شجرة أو يقرة . . أو بهر . أو جل . أو سحاب . . أو شمس . .

والذي يقبل الصليب الذي صنعه إنسان مثلا : ليس وثنيا ، ولكن الصليب رمز إلى معنى العداب الذي لقيه المسيح من اليهود . والدي يعبد الناز والنور والسحاب ، يسبى أن هده حسيعا رموز إلى معنى أكبر ، إن الإنسان لا يعبد الرمز وإثما بمناصة هذا الرمز ، يستحضر المعنى الديني ، ولكن كثيرا من الأدبان قد بقيت في مرحلتها البدائية ، دول تغيير .

وكل ما في الإسلام من معالم تاريخية لبست إلا رمزا إلى معنى أكبر. قالكعبة ليست مقدسة , وإنما هي أحجار فوق أحجار . والأحجار عادية

جدا . كلها قطعت من أحجار مدينة مكة , والحجر الأسود حجر عادى . . حجر أسود في أحمر في أصفر . . قبل من البارلت وقبل من الأحجار البركانية ، وقال بعض العلماء الفرنسيين منذ أعوام ، إن هذا الحجر لايمكن أن يكون من الأرض . . ولابد أنه سقط من كواكب أخرى بعيدة . . ونكن المسمين بصرون على أنه حجر عادى .

والكعبة نفسها طولها ٤٠ قدما وعرضها ٣٨ قدما وارتفاعها ٥٠ قدما والحجر الأسود يبدأ به الطواف . وعنده ينتهى الطواف سبع مرات حول الكعبة .. والحجر الأسود ليس قطعة واحدة .. وإنما ثلاثة أحجاز كبيرة ألصقت بعضها إلى جواز بعض ، وحولها قطع صغيرة من نفس الحجر أيضا . وكانت الكعبة قديما في طول قامة الإنسان . وكانت تغمرها السيول . أيضا . وكانت تلمرها السيول . وكانت تلنف حولها الأصنام . وهدمت الكعبة وبنيت . ونفل الحجر الأسود بعيدا عن موقعه أكثر من عشرين عاما .. وأعيد بعد ذلك . وبالإسلام ألق النوز على الكعبة وأصبحت مكانا مجرما

وغیر الکعبة مثل مقام إبراهیم . ومثل أحجار الصفا والمروة . والسعی بینها سبع مرات أی حوالی ثلاثة کیلو مترات .

وتغيركل شيء الآن. وضع الربحام والجرائب حول الكعبة وفي أماكن السعى بين الصفا والمروة. والذين يستطيعون الطواف أو السعى ساروا على أقانامهم.. أو حملهم الناس على دءوسهم.. أو دفعوهم على مقاعد لها عجلات بين الصفا والمروة .. وأضيء كل شيء بالكهرباء .. ولم يعد الناس يطوفون عراة حول الكعبة ، ولا الباعة والحيوانات تعترض سعى الحجاج بين الصفا والمروة ..

والكعبة رمز. وأحجارها رمز. وأحجار الصفا والمروة رمز. وأحجار عرفات والمزدلفة رمز أيضا . والأحجار التي يرجم بها الحجاج الشياطين ليست إلا رمزا أيضا . وإن كان بعض الناس بتصورون أن رجم الشياطين ، هو رجم حقيق نشيطان حقيق ، ولدلك لا يكتبي عض الناس بإلقاء الأحجار الرمرية ، بل يخلعون عالهم ويضربون الأحجار التي هي دمز للشياطين . وبعضهم يطلق الرصاص على أحجار الشياطين . وبعضهم يصرخ قائلا : أنت الذي جعلتني أطلق زوجتي . أنت الذي أعدني إلى السرفة وإلى الحمر

مع أنه لاشيطان خارج الإنسان. فالشيطان هنا تحت ملابسة.. ق جلودنا .. والمنزعات الشريرة مثل كريات الدم الحسراء ، إنا كانت النزعات الخيرة هي الكريات البيضاء . الشر والخير معا . النور والضلام معا . الحياة والموت معا .. ولذلك فإن دبالات قديمة جعلت العالم مصرعا هذين العدوين أو الضدين ..

وكل شيء زمز ..

والمطلوب من المؤمن أن يقف وأن يتأمل وأن يفكر.. وأن يجد الوقت ، لبستعرض حياته أمس والبوم وغدا .

والرسول يقول الجح عرفة ..

أى أن الوقوف في عرفات هو الحج. ولا وقوف في عرفات. وإنما هو جلوس .. وهدوه .. وعلى الإنساد أن يفكر . وأن يقرأ القرآن:

ولكن الذي يحدث عادة ويسب الزحام ، والبحث عن الطعام والشراب

والمأوى ووسائل الانتقال ، ألا يحد الإنسان وقتا لشيء . . اللغام إلا لحظات قليلة .

ومع زيادة عدد الحجاج عاما بعد عام ، لن يجد الإنسان وقتا للتأمل ، أو النمتع .

والإسلام بريد من المؤمنين أن بجربوا ذلك عسليا. أن يشعروا. أن يستحضروا المعانى التاريخية. وأن يروا ماذا حدث. وكيف حدثت التضحية والمعاناة والصبر. والنصر في النهاية.

ولم يعد الحج عملا شاقا. فالعلم الحديث قد يسر للإنسان كل شيء. فهو في ساعات يصل بالطائرة. ويساعات يصل بالسيارة أو الطيارة. وفي دقائق ينتقل. ويقيم . ويقرأ ثم ينطلق يجمع الجسرات. ثم ينطلق يلقيها ، وبعد ذلك يذبح الضحية .. وينتهى كل شيء !

ولكن أناسا من بلاد بعيدة لا يجدون وسيلة لهذه الحركة السريعة .

بعضهم يجيء ماشيا عاريا وأمله كبير في الله أن يبوت في الأرض المقلسة .

ونساء حاملات يتعذبن ويتساقطن ، وأملهن عظيم في أن يبلدن في الأرض المقدسة . وأناسا بمثات الألوف يطوفون وقد انهدت قواهم ، وجفت أجسامهم . وحلقوا شعورهم . وبحلث ما يحدث في الزحام عادة ، في أي مكان ، أن يتخبط الناس بعضهم في بعض . وبحدث أبضا ما يحدث في أي مكان ، أن يتخبط الناس بعضهم في بعض . وبحدث أبضا ما يحدث في أي مكان بتحرك فيه الإنسان جريا وطوافا وسعيا أن يعرق _ ككل كائن حي _ مكان بتحرك فيه الإنسان جريا وطوافا وسعيا أن يعرق _ ككل كائن حي _ مأن تكون المعرق وانحة . وأن يضيق الناس بهم .. وهذا الضيق جرء من وأن تكون المعرق وانحة . وأن يضيق الناس بهم .. وهذا الضيق جرء من المشقة ، والانسان بئاب على قدر المشقة ، والذلك يحرص هؤلاء المؤمنون المسطاء على أن يتضاعف عدابهم طمعا في الجنة عند الله ، إنهم مؤمنون .

وقد وعدهم الله بدُّلك ، وآمنوا . وجاءوا طامعين في الله .

ويحدث في كل رحام: أناس مشغولون بالله ، وأناس مشغولون بالناس ...
وتحدد الأيدى .. هذا ممكن ، فالإنسان هو الإنسان . والذي يرى الكعة لأول
مرة ، وربى لآخر مرة في حياته ، غير الذي يراها كل يوم .. هذا مشغول
وذلك في شغل .. هذا حاج ، وذلك طالب قوت ، من أى طريق ..
قالإنسان هو الإنسان في كل مكان ..

ويحار الإنسان بين أن يشكر الله على أن يسر له كل شيء .. وبين شعوره بالحجل لهؤلاء الطاعنين في السن ، الذين يجملون طعامهم وشرابهم وخيامهم على رءوسهم ساعات وساعات في الطريق إنى الكعبة أو في الطريق إلى غرفات وجبل الرحمة ، والمشعر الحرام (المردئفة) ..

وطبيعي جدا أن يتساءل الإنسان ولكن ما معنى هذا ؟ والمعنى هو أن الإسلام بطلب من الإنسان أن يطبع ، وأن يتأمل وأن يفكر وأن يتأنى وأن يصبر وأن يؤمن إنجانا مطلقا بالله ورسوله وقرآنه

ومن حق الإنسان أن يتساءل : ولماذا الصلاة خمس موات .. ركعتين وأربعا وتلاثا .. ولماذا رفع البدين ولماذا الركوع والسجود ؟

وكلها أسئلة معقولة والإجابة عنها أنها أسالي محتلفة في تعظيم الله ، والحشوع له . ولكن لماذا ١٠

وقبل أن أجب عن هذا السؤال نتساءل أيضا : ولماذا يعلموننا عند المشى أن نبدأ بالرجل اليسرى . ولماذا تمشى على اليمين .. ولماذا علامات المرود

ثلاث : أحسر وأصفر وأخضر .. ولماذا قواعد اللعب .. وقواعد كرة القدم والسلة والطائرة والبد والماء .. لماذا ؟

إن أحد لا يسأل عن هذه القواعد التي اتفق عليها ، والترم بها كل الرياضيين . إنها فواعد عامة . وهي واحدة ليكون السلوك العام واحدا . .

ولست فقيها في الدين ، ولا مجتهدا ، لأنبي لا أستطبع وإنما فقط أحاول أن أحاور نفسي وأحتار ما يقنعني وما يريحني فكما أن شرط اللعب ، أن تقبل قواعده كلها ، أو لا داعي لأن تلعب . بل إنك لا تستطبع أن تكون متفرجا تستمتع باللعب ، إلا إذا عرفت قواعد اللعب .. لغة اللاعبين والمتفرجين واحدة . لا أحد يسأل لماذا ؟ وإنما انفقنا حسيعا عليها لستربح إلى نظام - والعقل بطبيعته منظم - بفتح الظاء وكسرها أيضا .

وأنا لاأستطيع أن أفتى ، لأن معلوماتى الدينية واحد على مائة من معلوماتى الفلسفية ولا أستطيع أن أجتهد لأننى لم أدرس الدين واجتهاداته وتفسيراته وقرآنه وأحاديثه وتفسيراته ولن أستطيع عالعسر قصير ، والدين طويل عريض عميق وهذا الكلام لى ولغيرى من الناس العاديين ولدلك نحن نختار ما يريحنا ونعيش به وعليه ، ونتفق ونختلف من أجله !

والأكل له قواعد والشرب له أصول. والمناسبات والحفلات, والذي للبسه في المحر، والذي للبسه في الفراش، والذي للبسه في الأفراح والآخ، وفي لقاء الناس الأكثر احتراما ومع ذلك عن لا سأل ولماذا ؟ وإنما نحن تمشى على الأصول التي توارثناها وارتضيناها. ونكور مثل الجميع. لا شدود عن أحد من الناس، والدين، وكل نظام احتماعي أخلاق سياسي رياضي عسكري بريد الطاعة والاحترام والسلام والخير لكل الناس.

وكل عام يزور هرم الملك خوفو جهاعة من الأوروبيين من «عباد قرص الشجس» أو أصحاب علامة «الصليب الوردي» ويدخلون قاعة دفن الملك خوفو .. ويقيمون صلواتهم في دقائق . ولو رآها الإبسان لسحر مها . ولكهم بؤدونها مع عميق الاحترام . وينصرفون أكثر إيمانا _ مثلا : ما معنى أن يرتدوا ملابس على شكل هرم مقلوب عليه وردة وصليب . ما معنى أن ترتفع الأبدى وتهبط إلى حيث دفن حوفو ، ويصلون للإله أحنائون ويكررون حكمة الحنائون ومليان وموسى وعيسى ثم اسم كريستيان روزن كرويتس أول من دعا لعيادة الشمس في العصر الحديث . ما هذه الحركات المضحكة ؟ ما هذه البلاهة .. إلى آخر الأسئلة التي فيها استنكار واستخفاف بما يقعلون .

ولو قدر لهم أن يقفوا أمام مسجد من المساجد لأدهشتهم الحركات والدعوات والحشوع .. واندهشوا لشكل القبلة التي يتجه إليها الناس وقالوا ما يعجهم . ولكن الدهشة متبادلة ، والمعنى واحد . كل دير له قواعد وأصول ورموز ويتطلب الطاعة والإيمان . ولكن الإسلام يطالب المؤمنين بالتفكير في كل مخلوقات الله في الأرض وفي السماء وفي الإنسان نفسه ، فليست هذه الأشياء إلا صورا مادية لقدرة الله . وعن طريق النظر إليها وقهمها ، يصبح الإنسان قادراً إلى حد ما على فهم شيء قلبل جدا عن الله !

ولو قلت لكل حاج من بلد بعبد : وما هي أحجار الكعبة إنها ككل الأحجار . وما هي أحجار عرفات ؟ إنها مثل كل الأحجار . ولو قلت ذلك فإن منهم من يصدق . ومهم من لا يصدق . ولكن أى ضرر في أن يرى الناس أن هذه الأحجار قدا كتسبت قداسة التاريخ . أى ضرر في أن يتمسح الناس بأنواب السيدة زينب والحسين وقدر رسول الله . لا ضرر ، ولكن الناس يحدود في ذلك

الراحة التفسية . فإذا استراح الناس بالفعل فأى ضرر على الناس أو على الدين .

إن أكثر الأمراض الآن تشقى نفسيا والذي يسميه الأصاء ١ ، حساسية البس إلا الإحساس أيضا ولدلك أصبح من الضروري لكل طبيب أن يكون على فهم بعلم النفس وكان رحال الدين يقومون بهذا العلاج منذ ألوف السين . وفي مصر الفرعونية . وفي الهند والصير كان رجال الدين أطباء وحكماء العصر ..

بل إن الذي يتعب كتبرا من السفر إلى الأراضي المقدسة . يرجه أكثر أن يتلقى مكافأة معنوية على العذاب الذي شواه بالنار في جسمه هذا الثواب هو أن يقال له : إن الكعبة نشقى من المرض ، والطواف يقوى القلب والسعى يشد العضلات . وعرفات يجعلك صافيا معلولا من الحطايا كما ولدتك أمك _ ومن الصعب أن يعود الإنسان كما ولدته أمه . كيف . وماضيه وناريجه . وما ترمب في نفسه . والناس الذين سيعود إليهم ويعمل معهم وتاريحه . ويعانى من جليد كل مصائب الدنيا _ صعب جلما أن يعود الإنسان طفلا . ولكن يسعده أن ذنويه وخطاباه قد حست عنه . وألقيت من فوق كنفيه ومن فوق ضميره . ويسعده ذلك فأى ضرر على الإنسائية أن يشعر الإنسان بلذلك . إنها سعادة ولا شك وراحة وشفاء من كل داء . ومن داء التاريخ . فكل إنسان له تاريخ . وهذا التاريخ يوجعه في كل مكان من جسمه ونفسه .

والقرآن الكريم يعلم تماما أن الإسلام دين من الأديان . ولكنه يفضلها . ويرى أيضًا أن أديانا كثيرة لم تكن قادرة على التعبير ، ولا حفظت كتبه تماما . ويعلم أن الحرافات قد دخلت ، ولكن الله هو الذي أرسل هؤلاء

الرحال ذوى الاستعداد الحاص لتوحيد الناس إلى خير الناس.

يقول القرآن : «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى . وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» .

ا قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أونى موسى وعيسى وما أوتى النيون من رسم ا لانفرق بن أحد منهم ونحل له مسلمون،

﴿ لَقُدُ أَرْسُلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمُهُ ﴿ رَ

«وإلى عاد أخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » . «وإنى تمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » . «ولوطا إذ قال لقومه» .

ووإلى مدين أخاهم شعيبا

ه تم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعوب . . .

وعن عيسي عليه السلام قال ! ۩ورسولا إلى بني إسرائيل...

الا إكراه في الدين ..

وأنا أحاول أن أقوم لنفسى ما يريحنى وأحاول أن أنقله للناس الذين هم ليسوا من رجال الدين أو التفقه في الدين . ولكن بعضهم حائر . كم كنت حائرا .

ويسألني هما وفي الأراضي المقدسة كثيرون.

- _ ولماذا الآن ا
- ـ ولماذا لاأقول ما اهنديت إليه وهو قليل . في أي وقت ؟ .
 - ٠ ما المعنى ؟

...

_ إنى أحاول أن أحد معنى لما قرآت وما حاولت أن أفهم وأن أقول إننى أضعت سنوات طويلة . وضعت أبضا و وحاة وهناك وجدت ما يريحنى . وجدت ما ينفضنى وما يقتلعنى من أرض غربية ، ويعيدنى إلى أرض أهدأ وأثبت . ولو عرفت ذلك من زمن طويل لكنت أحس حالا . ولكن كل شيء له أوان . . ديما كان هذا أوان هداينى .

_ وسوف نكتب دائما كذلك !

- أتمنى. ولكن لاأستطبع ، هذا ما أقوله لنفسى ، لا عن تواضع ، ولكن عن أسف فالذي أعرفه قلبل. والذي أستطبع أن أحتهد فيه قلبل حلما أو معدوم جدا ولكن سوف أقول دائما ما أستطبع أن أفهمه أكثر ، لعلى أنفع أكثر . وكله عمل ، والعمل عبادة . مادام الخبر العام هو الذي أقصده ، وكنت أقصده دائما ، في كل ما أكتب ، أو هكذا أتصور تقسى ..

وأسئلة أخرى من بلاد بعيدة في رسائل|الفراء

- ۔ وهل خلعت ملابسك؟
 - طبعا
- ـ وهل طفت وسعیت ولبیت ۴
- طبعاً إنى دهبت من أجل ذلك ، ذهبت وأنا أعرف ذلك ..
 - ۔ ہل تری نفسك مؤمنا ؟
 - _ أخيرل هذا مؤكد.
 - _ كيف تجد تفسك الآن؟

سؤال صعب .. ولكن أستطبع أنْ أقول .. كنت صحراء قاحلة ، والآن فيها ماء ، كنت ليلا بلا نهار ، واليوم أشرق فى نفسى مالا أعرف أنْ أصفه

لك .. هل هو نور .. هل هو نار .. هل هو دف. . هل هو احتراق .. هل خرحت من حسمى أطراف اعتمدت عليها فى سبرى وق حركتى .. هل كانت عندى عبدان بلا حدقتان .. والآل لكل عبن حدقة .. هل كنت أقول كلاما بعير منطق ، وأصبح لى منطق .. هل كانت عملتى بلا عطاء ذهبى .. والآن أصبح لها عطاء .. هل كان عالمي بلا إله .. أو الله وهو الأصبح لما عطاء .. هل كان عالمي بلا إله .. أو الله وهو الأصبح ..

_ ما الذي تستطيع أنْ تفعله ٢

_ لا أستطيع أن أفعل الكثير إن قدرالي محدودة ومعلوماتي محدودة وما أوثيته من العلم قليل وكل إنسان كذلك ، وأكثر الناس علما أكثرهم تواضعا , وقد تعلمت من الفيلسوف الألماني كانت : أن هناك شيئين يبهران الإنسان وبغمرانه مالجهال والحلال - النجوم في السماء وصوت الفسمير في أعهاق .. وهما اسمان لمعنى واحد هو : الله .

وتعلمت منه أيضا: أن أحنى رأسى أكثر، لأكون أكثر احتراما، وأن أغمض عبنى أكثر، لأرى أكثر، وأن أسد أذنى أكثر، لأسمع أكثر، فإن معرفة الله لا تكون إلا بالصمت والتأمل ونحى كلنا آذان وعيون وأفواه... ونسبنا أن لما عقولا وقلوبا... فنحن إذا تكلمنا لم نسمع . وإذا سمعنا، لا يفهم. وإذا فهمنا ذهب بنا الغرور إلى أننا قد عرفنا كل شيء. فإذا شعرنا بأننا نعرف كل شيء. لم يصعب علينا أن ندعى الأنوهبة .. فإذا أدعينا ذلك . فقد أصبحنا حبوانات مفترسة . تنكرنا لإنسانية الإنسان. وعقل الإنسان ووحلنان الإنسان .. وهنا فقط لا إله ولا داعى له .. فليست الجيوانات آلهة ا

ــ ولن يتغير رأيك بعد ذلك ٢

- ليس لى رأى .. وبيس الذي أقوله أو أحاول ذلك . رأيا .. ولكنها حقيقة كشفتها وكشفتني .. وأحاول أن أعبر عنها فقط : فأنا لم أخلق رجلي : وإنحا أنا أستخدمها فقط أو أمشى بهما فقط والله حقيقة عضوية . كونية رياضية مقلسة طبية فنية .. دينية أخلاقية .. وأنا لم أهند إليه .. ولكنه هو الذي هدائي إليه .. وأنا أحاول أن أصف هذه الخطوة . والذي عرفته ليس مرحلة بعدها أعود إلى مرحلة أخرى . ولكنها نهاية .. وسوف أقضى ما ثبتى من عمرى أحاول أن أجد طرقا أحرى إليه .. فهوى كل شيء وكل فكر وكل عصر وهو الكل فالكل فيه وبه وعليه وله .. هو كل هذا الكل

_ مافا تقول فيمن لايزان يعبد الأونان والحيوان ؟

- أرى أن هذا طبيعى . فهو لم يرتفع إلى مستوى الإدراك الصحيح , فهو بدائى . والذى يرى الشمس مصدر الحياة أو هى الحياة معذور . والذى يرى أن الماء هو مصدر الحياة ، وبعيد البيل ، معذور أيضا . والطفل الذى يرى أن الماء هو أعظم رجل فى العالم معذور .. وإذا رأى بعد ذلك أن العسكرى هو أقوى من والده ، وأن المأمور أقوى من العسكرى . وأن الطبيب أعظم الجسيع . هو طفل صغير ..

وأنا أذكر أسى رافقت جماعة من الأشقاء العرب جاءوا من بعيد في الأرض وفي الفاريخ وسأنتهم عن الشيء الذي أعجبهم في القاهرة .. هل هو النيل .. هل هو البلاجات .. أو العارات .. أو الفتيات أو السيارات .. ولكنهم لم يعجبوا بشيء من دلك . وإنما أعجبهم شيء واحد لا نجدون له تفسيرا .. ويرود أنه أكبر دليل على وجود الله . وسألت ما هو ؟ قالوا :

الأساسير , لأنه يطلع وينزل بلاصوت ولانار ولا دخان !

مع أنهم حاموا إلى القاهرة في طائرة نفائة .. لها صوت وصراخ . ولدلث فإن الأسانسير أفضل منها . مع أن الأسانسير آلة بسيطة جدًا إذا قورن بالطائرة الشديدة التعقيد !

وأعتقد أننا أيضا في مرحلة الإعجاب الشديد بالأساسير.. ولم يصل بعد في علمنا وفهمنا إلى مراحل الطيارة أو الصاروخ أو سقن الفضاء.. أو مدن الفضاء أو أتوبيسات الفضاء.

واقترح كثير من الأصدقاء أن أكتب فى موضوعات شتى وهو حسن ظن لاأستحقه ، ولن أفعل ذلك الآن فأنا أعرف حدودى العلمية والعقلية ، ولكن إذا تيسر لى ذلك فسوف أفعل إن شاء الله قريما ..

وبعدن

فإنني لم أقل كل ما أريد وإنما قلت بعض ما أستطيع ولم أشأ أن آحد القارئ في دوامني العقلية والوجدانية وإنما حاولت فقط أن أصور عدائي العقلي وحبرتي الدينية وكيف أنني خرجت منها إلى شاطئ أمين شاطئ طويل عريض لا أعرف فيه إلا القليلين من الناس ، والقليل من الأشياء . وأمامي غر لا أعرف كيف أسيح فيه .. وكم أبعد عن الشاطئ ومتى أعود إليه . ومتى أحاف منه ، ومتى أنقد قسيى أو أصرخ في أحد أن يفعل ذلك . وإنما أعلم أنه لا أحد يتظر أحدا . ولا أحد يرى أحدا . إن كل إبسال فلكي يستفيدوا منهم ، ولذلك قالماس لا يسمعون الناس . وإذا سمعوهم فلكي يستفيدوا منهم ، فالحياة فائدة متبادلة وصعة تروح وتجيء وعملة تريد وتنقص ويد تأخذها ويد تأخذك . وعين تراك وعين نتجاهلك . هذه

حياة كل الناس، والناس معذورون. فالحياة صعبة وقصيرة.

ولكنى طلبت من الله الكثير، فأعطانى القليل الذى أستحقه وكنت أريده أكثر وسوف أطلب أكثر وآخذ أكثر فالله قد وعد بدلك. ولكن القليل شفانى : واحمة نفس. ووضوح رؤية. وصفاء عقل. وانشراح صدر، وسهولة فى التعبير عما فى نفسى.

وليس هذا قليلاً . قالحمد لله /

كان بعيدًا عن النساس وأسمى منهم !

أنَّ يكوك أبعد وأعلى . .

وللالك ذهب إلى « غاير حراء « وهو ف العشرين من عمره ...

يل إنه كان بعيداً عن الناس وأسمى منهم وهو مايزال طفلا .. غريب هذا الطفل وهذا الشاب وهذا الرجل .. غليف . أمين . صادق ، إذا ذهب الشباذ للهو لا يدهب . وإذا حضر اللهو غليه النوم . إنه بعيد عنهم حتى لو افتربوا منه .. غائب عنهم حتى لو النقوا حوله .. إن اللتى يدور فى داخله شىء آخر محتلف .. إنه هو نقسه لا يعرف ، ولكنه أخلص لطبعه وطبيعته وسار وصعد يرى ويسمع ويتأمل .

فى العشرين من عمره صعد جبلا على مدى ثلاثة كيلو منزات من مكة ...
الجبل اسمه الآن (جبل النور) أو جبل حراء .. تسلقه عشر سوات فى أيام الالتين والثلاثاء والأربعاء والحميس . وفى أيام الجمعة والسبت والأحد ينزل يعيش بين أهله غربها عن الناس .

وبعد سنة واحدة من ذهابه إلى وغارحراه، تزوج خديجة. وكان في الخامسة والعشرين من عمره , يصعد الحبل ومعه القليل من الشعير ولمبن الماعز .. يقضى النهار والمبيل , في صمت علم يكن وحده . وإنما كان مع كل معانى الكون .

:: سهر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3

فلبس أعظم من أن يكون الإنسان فوق ليرى كل شيء صغيرا .. الناس وحياة الناس وهذا الكون .. في السماء الناس وهذه الدنيا .. ويزى الله كنبراً في حلق الناس وهذا الكون .. في السماء والأرض .. وفي العقل وفي النفس .. كل شيء داهب إلا الله باق .. كل شيء كثير إلا الله واحد .. كل شيء صغير إلا الله جليل ..

ما هذا الدي يفعنه الناس هناك .. وحول الكعبة ٢

فهو من الغار الذي أقام فيه عند قة الجبل يرى الكعبة .. حولها أماس وكلات ولصوص ومخمورون ولساء كلهم يتزاحمون ويسرعة يختلفون وترتفع السيوف وتسبل الدماء ويحيء الذباب.

هذه هي مكة , وحميت مكة لأنها جافة من الماء , ويقال ؛ مث الشيء أي امتصه , فهي تمنص الذنوب , ولكن ذنوب هؤلاء الوثنين عبدما تمتصها مكه تنجدد من جديد ,

همة المعبود اسمه الهبل إنه تمثال من حجر العقبق لمداع واحدة .. ونجي، القبائل تضع المتمثال ذراعاً من ذهب وأمام الهبل اليستغرق الناس في لعبة اللهراء .. وعلى كل واحدة من الزهر مكنوبة كلمة ... لا .. أو نعم .. أو كلمات لى .. لك .. للمعبود الهبل الله والناس يلتفون حول التمثال يرمون الزهر أمامه .. ويذبجون الحيال .. ويأكلون ويشربون .. ويقدمون القراجي لهذا الحجر أمامه .. ويذبحون الحيال .. ويأكلون ويشربون .. ويقدمون القراجي لهذا الحجر الذي صنعه يشر . ويحسبه بشر . وبدعوه ويدعو عبيه .. ويبضق عليه شر أيضا .. ولكنهم يعبدونه ويستحلفونه ويصدقونه ..

وهناك حجر اسمه اللات .. يعبدونه .

وهناك ثلاث نخلات اسمها العزى يعبدونها ويلقون عندها همومهم وكزوبهم

ويذخون أغامهم وإبلهم .. ويقولون إن المخلات الثلاث تكلمهم وتكشف أسرارهم وتفضحهم بعضهم أمام بعض .. فهم جاءوا من أقصى الصحارى ليتعروا أكثر أمام الآلهة .. وهكذا تتحكم فيهم الأحجاز وعادات قبلية آكثر فسوة من الأحجار والكثير يدوزون حوها ويبيعون ويأكلون ويشربون ويتسولون هم وجواناتهم .. ويعلقون على جدرانها ثرواتهم وى داخلها يضعون عقودهم ومواثيقهم .. ولكن لا قدامة للمكان لأنه لا قداسة لأحد .. فلا أحد إلا الأوثان وإلا الأحجار وإلا السيوف والدم والفجور والبطش والحوع .. وحروب القبائل .. وإلا تروات الأعنياء وجشعهم وذل الفقراء وهوائهم .

ومن هناك هوق ما الذي يراه الرسول محمد من غار جراء .. يرى من بعيد حجر الصفا .. وحجر المروة .. والطريق بيهها من تراب وفهاب .. وهماك تمثال من حجر يعبده الناس .. وبمسحون أيديهم ووجوهم .. وأطرافهم الموجوعة .. وتمثل آخر تمسح عنده النساء يطوتهن وظهورهن وصدورهن ويتمنين شيئا من الذرية أو من السعادة الروجية ..

وليس هذان التقالان لأحد من الناس الطيبي - إنها لاتنين من الفاحقين .. على ذلك الوقت كان كل شيء هنا حالقاً كل شيء في مكة وحول الكعبة الشمس محرفة والناس بهربون منها إلى الحيام وإلى المحيل وإلى النوم وجه اللمل فاردادت الحرارة واختى الماس وتسلل رجل وامرأة إلى داخل المكعبة ونجاورا والتصقا حتى تحولا إلى تتقالين من حجر وأصبحت فصيحتهما عملا عبراً . تمثالين بارزين دليلا منهوما مقبعاً ورجمها الناس وتعنوهما وتكاثر الرحار حول الكعبة وتكاثرت الأيام ومضت بعلد الرمال حول الكعبة وسبى الناس من هما الكعبة وتتكاثرت الأيام ومضت بعلد الرمال حول الكعبة وسبى الناس من هما صاحبا التمثالين .. وظن الناس أنهها من الآهة .. وانتقل تمثال الرجل واسمه :

أساف.. والمرأة اسمها " تاثلة أحدهما عند الصفا والآخر عند المروة. وعبدهما الناس.

ومن جبل حراء هذا بعيت الكعبة . ويقال إن (شيت) بن آدم عليه انسلام أخذ أحجار هذا المكان المقدس من جبال سينا ولبنان وحراء . وما جاء إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل أقاما الكعبة من أحجار جبل حراء .

وعندماكان النبي عبيه السلام شاباكان يحمل الأحجار المقطوعة من جبل حراء على عقه وعلى رأسه. ولما اختلفت القبائل أيها يضع الحجر الأسود في مكانه احتكموا إلى رسول الله . ووضع الحجر الأسود في ثويه . وأمسكت القبائل توبه .. كل من ناحية .. وامتدت يده هو ووضعته في مكانه . واستراحت القبائل إلى أنها شاركت في وضعه .. فلا فضل لقبيلة على أخرى وكان وضع احجر إشارة إلى أن الرسول سوف يضع حجراً وراء حجر لدين كريم لقربش وكل القبائل الأخرى والشعوب .

وهناك ومن غار حراء الذي يتسع لحسنة جالسين معاً . كان الرسول يرى كل هذا الكفر والفسوق ولا يطبقه ولكنه لا يعرف ما الذي يمكنه أن يفعله .. أو ما الذي يستطيعه .. إنه واحد ، وهم كثيرون .. إنه فقير وهم أغنياء .. إنه يتيم .. إنه نظيف ... إنه أمين .. إنه مختلف .. إنه لا يستطيع أن يشارك .. أن يمد يدا .. أن يغض عيناً .. إنه فوق .. وأنه يعيد .. وأنهم في أصفل السافلين .

ولما تروج السيدة حديجة كانت ترى أن شيئاً عجيباً يضاف كل يوم إلى هذا الزوج الصالح .. أول ما رأت .. أنه إذا نام وقام وروى لها حلما يكون الحلم صادقاً فكل ما يراه يقع . فلم يكن حلما وإنما هي بؤية صافية صادقة . إنه يرى ما سوف تجدث .. وليس هذا بالقليل . إن الإنسان تجدث له ذلك مرة كل

سنة .. أو مرة في العمر كله .. وعندما يكون في حالة توازن للجسم والنفس أى إذا ماكان في حالة سواء . صفاء . شفافية ..

إلى علما، النفس بجدون فى الرؤى الصادقة دليلا على ألى هناك قدرات خارقة عند بعض الناس بعض الموقت .. وهذا معناه آن الإنسان يستطبع أن برى أبعد مما برى الناس .. فأنا إذا يأيتك الآن .. فأنا أراك فى هذا المكان وفى هذه المحطة .. وإذا ابتعدت على عشرة آلاف منز فإنني لا أراك . لأن قدرتى على المرؤية فى المكان محدودة .. وإذا أنت جئت إلى تفس المكان الذي تقف فيه فأنا لأراك إذا لم أكن موجوداً .. فشروط الرؤية أن تكون معاً على مسافة واحدة فى المكان والزمان .. ولكن الذي يرى ما يحدث على مدى ألوف الأميال .. وعلى مدى ألوف الأميال .. وعلى مدى ألوف الأميال .. وعلى مدى والزمان ويوضوح كل يوم..

وبعد ذلك كان الرسول عليه السلام يتأمل كثيراً... يصمت ويطبل النظر وينشغل تماماً كأنه يستمع إلى أحد غيره أو يستمع إلى أصوات لا يسمعها الناس فهو يعيد النظر وبعيد السمع أيضاً.

وكان الرسول عليه السلام عندما احتار غار حراء اختار العزلة العالية والوحدة الرفيعة , والسمو الشاهق ، وأن يكون في معبة الكون كله .. قوالين الكون وحكمة الحياة وأصل الوجود .. هناك عيداً عالياً عن الناس والأشياء

وفجأة حاءت الأحداث الجبيلة لقد بانى وسمع بأى وسمع من يقول له القرأ . وهو لا يعرف القراءة ولا يعرف ماذا يقرأ . فالصوت يقول له ت اقرأ . مرة ثانية وثالثة . والرسول يقول ما أنا غارئ .. فيقول له اقرأ وديث الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

وكان الصوت مليد عبيف ، هزه من رأسه حبى أصابع قلميه ، تفجرت فيه الحرارة والعرف والبرودة والحوف والفرغ ، شيء عجيب غريب ، ما رآد قبل ذلك ، ولا انتظره ، ولا عرفه ولا سمع به . هبط الرسول من جبل حراء ، إلى زوجته يطلب إليه أن تحتف أن تمست به ، أن تحبيب أن تعييه على ما هو فيه ، وهي تعرف أنه صادق ، وأنه أمين وأن شيدًا لا تدريه هي أيضاً سوف جدت له . وحدث له ، وأخذته إلى راهب قرأ في المسيحية والبهودية ، ولما روت له ما حدث ، أكد ها أنه لمي ، وأنه منوف يكون بني هذه الأمة ، فالذي جرى له . وجرى عبه ، قد حدث لموسى ، وحدث للنهن من بعد موسى ،

والقرآن يقول : إنا أوحبنا إليك كما أوحبنا إلى نوح والنبيين من بعاده . هذا هو الوحي .

بترل صورة وصونا .. تيلاً كل شيء حوله .. إن فوة هائلة طوطا السموات والأرض تدخل في جسمه الصغير .. تفيض فيه .. تتدفق بغزارة وحرارة .. إن تياراً كهربياً عالياً بلمسه فيهزه بعنف .. وكان الرسول لا يقوى عليه .. كان يصاب تما يشهه الحمى .. وكان هذا الوحى ينزل عليه جالساً وماشياً وراكباً

قإفا مزل عليه وهو قوق ناقته كانت الناقة تبرك على الأرض . وتلهث كأن الذي يحلس عديها جبل . فإذا فرغ الوحى من تبليغ الرسالة . عادت الناقة نرفع وأسهة . كما يعود الرسول إلى حالته العادية .

والله يقول له ﴿ إِنَّا سَئْلُقَ عَلَيْكَ قُولًا تُفْيِلًا ﴿ . .

والمرسول بقول شیبتنی «هود وأخوانها ــ أی سورهٔ هود وسور أخوی کثیرهٔ ، فقد کان نزولها علیه مهره ویهده

وضل الرسول بثلقي الوحي , , ويدعو إلى ديثه اجديد سرا , وجاءه اتوحي

يدعوه إلى أن يجاهر بالدعوة .. يقول الله تعالى القاصدخ عا تؤمر وأعرض عن المشركين . . وحاهر الرسول بالدعوة . وجاهر المشركون بالإيداء له ولأتباعه من المسلمين ولكنه مضى يدعو في كل مكان . واستسر الماس يتربصون به في كل مكان . وواستسر الماس يتربصون به في كل مكان . وطارت الأحجار وأحشاء الحيوانات والمدعاء بلقونها عليه أيما ذهب . . وهو صابر على دعوته . إنه بدعوانناس إلى ترك عبادة الأوثان .. إلى السلامة .. إلى النظافة والطهارة .. والرحمة والتواضع .. وإلى أن متاح المدنيا قلبل . وإلى أن الله أبى من كل ما في أبديهم وفي لفوسهم ..

وازدادت قريش . قبيلته . قسوة عبيه وعلى المؤمنين به من الأطفال والشبان والسماء والعبيد . وقالوا : دين الضعفاء ــ ولكنهم أقوياء بدينهم ورسم ..

عشر ستوات يدعو فيها الرسول علناً في مكة .. وحول مكة .. والعلماب والهوان والاحتقار والمتهديد والوعيد والإغراء بالمال والسلطة ، يرفضها الرسول والمؤمنون ...

والرسول يدعوالله قائلاً ، يا مقلب الفلوب تُنتني على إيماني بدينك . .

ذبك الدعاء الحميل الصبور

ونزل الوحى يطلب إلى الرسول أن يهاجر . . وكان الرسول قد رأى في نومه أمه سوف يهاجر إلى مدينة فيها لخل . . وفي المدينة ذاق طعم التمر لأول مرة في حيانه 1

"ثانى التنين إذ همًا في الغار"

ومن الذي لا يحاول أن يسير في نفس الطريق الذي سار فيه الرسول العظيم .. في هذا الطريق إلى غار حراء سار الرسول أكثر من آلني يوم .. طالعاً نازلا .. متفكراً مناملا متألماً ــ خفيفاً بصفاء روحه وثقيلا بهموم قومه وكل الناس .

الناس يسمونه ١ جبل النور، فنه وفيه ظهر جبريل. ومنه خرج نور يهدى النَّاس إلى سواء السبيل . . إلى كلمة سواء . . إلى ما هو أَلْفَعُ وأَرْفَعُ . . الطريق صعب . وأنا لم أمتعد لهذا الصعود . ولا خبرة لى به . وكلما عرضت هذه الفكرة لم يفلح أحد في أن يخفي استخفافه _ أو دهشته . . أما الدهشة فلأنه طويل صاعد صعب ﴿ وَلَأَنَّهُ مِنَ الصَّعِبِ عَلَى مِنَ افْتُرِبُ مِنَ الْحَمَسَينِ وَيَرْيَدُ وزنه على التمانين أن يصعد كل هذه الصخور إلى ارتفاع شاهق . . ووجدت الناس على حق . . ولكن أديد أن أرى . أن أمشى . أن ألمس . أن أستذكر . . أن أسترجع ـ أن أكون على مقربة من مكان تغيرت فيه الدنيا . . هناك متنفس رجل عظيم ـ هناك . قوقه . كان الرسول وحده مع الله وحده .. كانت السماء تعد جسمه لأن يكون جهاز استقبال فريدا . . . يستقبل كلمة الله التي هي السماء والأرض وما بينهما . إن جسم الرسول لابد أن يعد إعداداً خاصاً . لابد أن يروض على الصفاء أكثر ، والنقاء أشد ، والإحساس أرهف . . لابد أن يتعرض اللصوء الباهر ليعاد ترتيب حلاياه وذرات عقله وقلبه ﴿ وَفَي هَذَا الْغَارِ ، فَي هَذَهُ وهاجر المسلمون إلى الحنوب وهاجر منهم آخرون إلى المدينة ﴿

وكان الرسول ينظر إلى مكة حزينا ويقول : «والله إنك لأحب البلاد إلى نفسى . ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» .

وذهب الرسول وأبو بكر إلى عار ثور .. وأقاما فيه ثلاث ليال .. وكاد المشركون يمسكون بهما . وفزع أبو بكر . وقال له الرسول . ما ظلك باثنين الله ثالتهما ..

ونزل القرآل يقول : «إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الدين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه : لاتحزل إن الله معنا. فأنزل الله سكيته عليه ، وأيده بحنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العلبا ، والله عزيز حكيم »

وبعد تُمانية أيام أو عشرة وصل الرسول إلى مشارف المدينة المنورة. واستقبه أقاربه من بني النجار يتغنون .

طلع البدر عليها من ثنيات الوداع وحب الشكر عنيها ما دعا لله داع أيها المعوث فيها جثت بالأمر المطاع جئت شرفت المدينة مسرحها ياحير داع طلع البدر علينها

2 0 8

الغرفة الصخرية وعلى هذا الارتفاع وفي مواجهة بور السماء . أعبد تكوين الرسول ليقدر على أن يتحمل الضوء الإلهي والصوت المنيء والكلام المنزل .

ووقفت عند سفح الجبل من الناحبة الأحرى ... لا توجد أية معالم لأحد قد صعلاً .. ولكن من المؤكد أن كثيرين أشد إيماناً وأخف وزناً وأكثر حيوية قد صعدوا كالغزلان . . ولكن ما الذي صعدوه . . الصخور متقاربة . . مثل أنياب من الحرانيت مفتوحة ﴿ لا أكاد أتقدم خطوة حتى أفع بين نابين .. قدمي على ناب ویدی علی ناب .. وأمامی وورالی أنیاب .. وانصخور نظیقة بمحها اهواء أولا بأول . . وقد نصحني كثيرون أن أخطو إلى الأمام وألا أنظر وراثي . . فالطريق أمامي طويل صاعد عصبي . لا يكاد ينحني بمنة ، حتى بنحتي إلى البسار وبحدة وشدة . . وفي أول «الطريق « ـ وليس هناك طريق ـ أشجار وعلى الأشجار تعلقت لفافات من الفهاش .. قالناس يلفون الفهاش حول غصن يصغير ويطلبون من الله ، بحق هذا المكان الكريم ، أن يُعل عقدهم . كثير من العقد على هذه الأشجار .. وقد رأيت مثل هذه والبدع؛ في أماكن كثيرة .. رأيتها عند وحافظ المبكى . . فاليهود بكتبون شكاواهم ويلفونها في ورقة ، نم يضعون الورقة بين الأحجار . .

وفى أضرحة الأولياء فى مصريلق الناس بخطاءاتهم إلى الأولياء .. تماماً كما يفعلون ذلك مع الحكام ، وكأن الأولياء أحياء قادرون على أن ينفعوا الناس أو يضروهم . ولكن الناس بستريجون إلى ذلك .. وفى اليابان وجدت الناس يهزون المكانس التي فى مداخل المعايد .. أملا فى أن تقوم الآلهة بكنس هموم الناس وتعاسنهم .. ورأيت الناس عند تمثال بوذا يلقون عليه الورود بعد أن يقطعوا من كل وردة ورقة .. ثم يقولون معها كلمة دعاء .. ورأيت الناس فى

الهند يلقون بملاسهم القديمة في الأنهار المقدسة _ لعل الأنهار أن تأخذ أمواضهم وشقاءهم إلى غير رجعة ..

وفى الطريق إلى الغار وجدت الناس يكتبون أسماءهم على الصخور .. ولكن الطريق ليست له معالم . وكنت أنظر إلى القمة التي لا أراها بوضوح .. وأمد يدى إلى الصخور .. وأرفع ساقى .. وأتسلق ولا أعرف ما بعد ذلك .. وأقول كان الرسول إنساناً آخر . وكان شاباً .. وكانت عنده قضية كبرى . وتنتظره لداءات السماء

وطال الطريق وتوقفت الهث .. وأحسب الهي ارتكت مجموعة من الأخطاء فلم أرتد حقاء بمسك قلعي فلانترنق وكنت أرتدي جلبالاً وكت أدوب عرقاً والجلباب لا يمنص العرق .. وإنما يتركني وحدى في مهب الهواء الدرد .. ولو كنت أرتدي قبصاً وينطلوناً لالنصق القسيص بمنص عرق ويمنص خوق من لفحة هواء لصدري وحلق .. ولم آت بعصا أنوكا عليها .. ولم أتعلم نسلق الجبال .. بل إنتي لا أفوم بأية رياضة في مصر . ورياضتي الوحيدة هي هبوط سلالم الخبار اليوم البادوارها النسعة ..

وأذكر أننى تمشيت مع الصديق أحمد فراج على النيل نصف ساعة ، بعدها رحنا تهي أنفسنا بفاتحة النشاط العظيم الذي سوف ينظم الدورة الدموية ، ويزيل الشحم ويشد اللحم ، ويشحذ العقل ويقوى القلب .. وكانت مرة واحدة .. وكان ذلك رقماً قيامياً لنشاطنا في عام كامل .. وأنا الآن أصعد الجبل .. وأحاول أن أفرا الأسماء على الصخور _ ولم تكن محاولة القراءة إلا حيلة لكي أتوقف بعض الوقت لأشم نفسي ، ولتبرد حرارة جسمي _ ولكني في نفس الوقت لا أستطبع أن أقف طويلا فأنا أحشى أنه تغرب الشمس فلا أعرف

كيف أهبط الحبل.. وهذه علطة كبرى أنني صعلت الحبل قبل العروب بقليل !

وتكانفت الصخور كلها مرة واحدة كأنها لا تريد أن أذهب إلى أبعد من ذلك . فالصخور كنلة واحدة .. كأنها حائط .. كأنها سقف .. سد منبع . وفى لحظة ضعف فكرت أن أكتنى بهذا القدر على أن أغود غداً . . ولكن هذه الفكرة ألقيتها فوق هذه الصخور بسرعة ورأينها وقد تبددت إلى ذرات . . وكل ذرة منها انقلبت عفريناً . . أو إبليس الذي كان يربد أن يصدني عن شيء رائع يتمناه كل أحد ! .

وبعد دقائق طويلة .. واستراحة بعد أخرى .. وجدت مكاناً على شكل حوض ما ، . الحوض جاف .. كانت إذا نزلت فيه الأمطار بقيت بعض الوقت .. ولابد أن الماء يكون بارداً على هذا الإرتفاع .. ولابد أن المناس كانوا يشربون منه .. ولكنني لم أجد ما ، . وإنما بقايا الماء على الجدران .. ووجدت سلماً صغيراً ينزل إلى عمق الحوص الذي يبلغ المتر ــ أما طوله فمترات وعرضه متر ونصف متر ..

وبعد ذلك عاودت الصعود .. الأحجار ما تزال حادة بارزة .. إنها أنياب أو أضراس حيوان متوحش كلفته السماء بأن بجرس صاحب الغار .. بعيداً حثى عن الهواء إذا فكر أن يتسلل إلى هدوئه الكريم .

وعند قمة جبل حرام.. هذا هو الغار.. أو الجانب الحلقي من الغار.. له فتحة على شكل شفنين متجمدتين من الحجر الأحمر الجرانيث .. كأن الغار أراد أن يقول شيئاً . ولكن فجأة تحولت صرحاته إلى شفاه جامدة فسكت منذ ذلك الوقت ... وإنما الذي نطق بالحق هو الرسول الكريم ..

والغار له فتحة من الناحية الأخرى في مواحهة مكة ﴿ في مواجهة الكعبة ..

وكان الرسول عليه السلام يقف في هذا المكان . ثم ينزل بساقيه ويتساند على هذه الصخرة بالدات . ثم يدخل الغاء وقد حتى وأسه قليلا . ثم يضع طعامه . من لبن الماعز . وبعض الخبر . ثم يجلس . ثم يسند ظهره إلى داخل الغار ويتوجه إلى السماء . فإذا جاء الليل .. دخل الرسول إلى عمق الغار وأسد ظهره وداح يفكر في أمر الناس . ماكان منهم وما سوف يكون . ولكنه لا يدرى ما الذي يدفعه إلى هذا المكان . إنه مدفوع إلى هذا .

وعلى الغاركات قبة .. المهدمت .. ولم يبق من هذه القبة البيضاء إلا حداران صغيران طلبا بالجير الأبيض .. فيراهما الإنسان من مكة .. ومن عرفات . به

أما مدخل الخار فسدود بالأحجار أيضاً فقد كان من عادة الناس أن يجيئوا إلى هذا المكان ، وهي رحلة شاقة .. ويعضهم كان يسقط ميتا .. ويعضهم تحظمه الصخور ويعض الناس كان يقيم المبالى الطويلة في الغار .. والغار ضيق والناس يتراحمون . وبعضهم يتعبد ولم بأمر الرسول أحداً بأن يفعل ذلك

وتكن التعبد في هذا المكان يدعة .. ومشقة . ولذلك سدت فتحة الغار حتى لا يذهب أحد إليه ..

#

قال لى الأمير فوار أمير مكة المكرمة إنه عندماكات في السيارة مع الرئيسين انسادات والقذافي قال للرئيس السادات. إن بعض الناس يذهب إلى جبل النور ، ويتعذب كثيراً حتى يصل إلى غار حراء ، ويبيث فيه ، مع أن هذا ليس من الدين في شيء.

وقال له الأمير قوال إن الأخ أبيس منصور قد جاء أكثر من مرة حاجا ومعتمراً ليذهب إلى عار حراء . ليكمل كتاباً له .. وأخشى أن يفعل لفس الشيء..

وقال الأمير فواز: فإذا ذهب وأقام في الغار؟ قال الرئيس انسادات: إذا فعل ذلك ضعه في السجن! ووجدت الغار مسلبوداً بالطوب الأحمر.. حتى لاأدخل السجز ا

4 0 0

ولا أخنى شعورى بالفزع والرجفة عندما وقفت فوق الغار .. مع أن العار أحماره ككل الأحجار . أحجار عادية .. ولكن المعلى المناسة . التاريخ .. شيء يجيف ويهر ولا يجد الإنسان ما يقوله . فما الذي يمكن أن يقوله أحد بعد الذي قاله صاحب العار . ما الذي بمكن أن يقوله عنه وعم الذي قال .. إن صاحب العار قد كان له رأى في كل شيء .. وله وقفة عند كل قضة

ومن الصعب أن يكون لك رأى إلى جانب رأيه أو حتى وراء رأيه أو احتهاد في الذي قاله .. صعب حدا .

إنني قرأت ماكتبه الدكتور هيكل عن محمد

وماكتبه العقاد ..

وما كتبه طه حسين ..

كل واحد حاول أن يجد طريقاً مربحاً إلى المعنى الذي يويده , الدكتور هيكل حاول أن يعرض قضيته وأن يدافع عها . والعقاد حاول أن يعرض

نفسيته وعقليته وأن يجلوها وأن يقمع بها .. وطه حسين حاول أن يجد قصة .. حكاية .. يسهل عليه روايتها ، ويمتع الناس إذا تحدث عنها ..

ويبقى الرجل كبيراً عظيما لا عوف من أين نأنى إليه .. الطرق إليه كثيرة حداً .. ومنشعبة ومنداخلة .. ومضيئة حتى لا نقدر أن تطبق عيبك .. والذي قاله لؤلؤ وماس وأحجار أخرى كريمة .. ولا تعرف كيف نصبع منها عقداً أو قرطاً أو خاتماً .. ولا تستطيع أن تدع شيئاً ، ولا تقوى على أن تأخدكل شيء .. الله شخصية باهرة .. كيف استطاع كل ذلك وحده .. كيف واجه الظلام بالنور ، والمصلال بالهدى ، والقوة بالحق ، والعداب بالرحمة . والهوان بالزيان ..

كيف هاجر من مكة .. كيف خرج منها ليعود ذلك فانحاً لها محطماً الصنامها . منظماً فوضاها . تم لبعود مرة أخرى إلى المدينة يلقى ربه ويدفن فيها .. ويكون له المكان الطاهر قيره ومسجده وتكون قبور زوجاته وصحابته وأنصاره .

لقد دخلت قلب الكعبة عشر موات ...

أربع مرات وراء الملك فيصل ..

وأربع مرات وحدى . .

ومرة وراء الرئيس جعفر نميري ..

ومرت وراء الرئيس السادات ..

وغمرتنی الراحة وأحسست أن شرابینی من اللیون الهادئ .. بلا حرارة ولا صوت . واننی فی حالة بین الحیاة والموت .. فلا آنا حی أشعر بجسمی ، ولا أنا میت بلا حسم .. ولکنی فوق وجسمی تحت .. وخط رفیع بربطنی

بالاثنين.. وعلما خرجت من الكعبة أخلت أشعر بجسمى قطعة قطعة حتى أصبحت ثقيلا على وجداتى وعلى فكرى.. وأعيدت لى حباتى العادية..

وفى داخل الكعبة كل شيء غمسود فى ماء الورد .. ماء زمزم مع ماء الورد .. الأرض غسلوها ، والحدران بللوها .. وفى ركن داخل الكعبة ستار .. ويتصحك بعض حراس الكعبة أن تختى وزاء الستار وأن تطلب على الله أن يتوب عليك .. فهو ركن التوبة .. ودعوت الله .. وفى الطلام اصطدمت بالذى يركع والذى يسجد والذى يبكى والذى يبلل ملابسه فى ماء زمزم .

ولكن إحساسي في مسجد الرسول شيء آحر. من نوع آحر.. فهناكان بقيم الرسول .. وهناكانت زوجانه .. وفي بيت عائشة وعلى صدرها مات .. وفي ملابسه غسلوه وبها دفنوه .. وعندكنني الرسول دفن أبو بكر .. وعند قدمي الرسول دفن عمر .. وكان المسجد النبوى صغيراً ــ ۲۰ متراً في ۲۰ متراً ـ فقد كان عدد سكان المدينة بقراها السبع ثلاثة آلاف سمة نصفهم من اليهود .. والنصف الباقي من الوثبين ثم أصبحوا مسلمين بعد ذلك .. والناس لا يطوفون حول قبر الرسول .. كما يفعلون حول الكعبة .

ومن هنا كان نجرح من بيته وهنا كان يصلى , وهنا كان يتحدث إلى الناس ، وهنا خرج مريضاً ، وهنا مرض , ولتى بربه .

لابد أن الرسول كان شخصية ساحرة , فالذي يقرأ ما قال ، والذي يقرأ ما قال ، والذي يقرأ ما فعله الناس عندما سمعوا ما قال , ولم يكن له مال ولا سيف . وإنما فقط ما يقول . وقدرته على إقداع الناس , بصدق شخصيته وأمالته والقدوة النادرة التي كان عليها , ثم إنه كان بشراً بنتصر وينهزم . ويغضب ويمرض ويموت . والقرآن يقول : وإنك ميت وإنهم ميتون . ويقول : وما محمد إلا وسول قد

خلت من قبله الرسل . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، .

ومات الرسول ـ عليه السلام ـ فى يوم الاثنين وهو اليوم الذى ولد فيه . والذى هاجر فيه ، وبلغ المدينة فيه ، وفيه نزل الوحى ، وفيه حرج من غار ثور ، وفى هذا اليوم رفع الحجر الأسود .

إنه إنسان تعرفه وتحبه وتعجب به الإنستريح به وتبكى عبيه وتقرح به .. شاب ورجل وأب وداعية وشجاع وحكيم .. إنه يشر رائع ..

* * *

وفى المدينة المنورة بحثت عن الشيخ إبراهيم العياشي . وهو أعلم علماء المدينة بآثارها , أريد أن أجلس إليه أن أسمع منه , وكان الرجل مريضاً , فأحزنني ذلك , وأسفت له , واعتذرت ولكنه أصر , فلم نجرج من بيته وقتاً طويلاً , ووجدها فرصة لبشم هواء منعشاً .

قل یا شیخ إبراهیم : أرید أن أعرف بالضبط من أین دخل الرسول المدینة المتورة . کیف . ومانا فعل یوماً بیوم . ومن الدین قابلهم وما الذی أکله وشریه . وأین صلی . وما الذی کان یرتدیه وما الدی قانه ؟

وقال الشيخ إبراهيم وهو لا يقوى على أن ينطق أو يحرك عنقه : أفعل إن شاء الله ا

وعند أطراف المدينة , قال . بمن هنا دخل الرسول . وهنا أقام بعض الوقت , واستقبله أقارب أمه من أسرة بنى النجار . وغنوا له والطبول فى أيديهم : طلع البدر عبينا . وفى هذا المكان وعلى هذه الصخرة وقف رجل يهودى يصرخ قائلا :

جاء حظكم .. جاء الذي كنتم تنتظرون ..

وهنا الطلقت ناقة الرسول _ وهنا بركت _ وأقيم أول مسجد _ وهنا صلى _

وظل الشيخ إبراهيم العياشي يتقل من مكان إلى آخر.. ويقول: هما بالضبط كانت معركة أحد. هذا هو الجبل.. وهنا كانت معركة الحندق.. وهنا كانت ببوت اليهود.. وحدائفهم.. وهنا وتحت هذا الشارع المرصوف كانت قوات المسلمين.. وعند هذه البثركان يقف الرسول ويحثهم على الجهاد.. وقعت هذه العارة تماماً وقف اليهود يحاولون أن يجدوا وسيلة للتغلب على قوات المسلمين..

يفول: لقد أمضيت عشرين عاماً أحقق في موقعة بدر.. وحققتها على الحريطة ولكن حظى الأسود أوقع هذه الخريطة في يند زوجتي فأحرقتها وكتباً أخرى.. ومن يومها وأنا لا أقوى على الكلام أو الحركة ...

قلت له: إمها زوجة مقراط ياشيخ إبراهيم هي أيضاً كانت لاتواه بين تلامذته حتى تجدها مناسبة لاحتقاره وتذكيره أنه لا يعمل وأنه عالة على الناس وأنه يمضى وقته يناقش الناس ويرسم لها خريطة الحياة المثلى بيها هو لا يملك قرشاً ولا منصها ولا يدرى إن كانت زوجته قد حملت منه أو من غيره ـ أو كان زوجاً أو كانت له زوجة . ثم نصب عليه الماء القذر لعل الماء يمسح الكلام من لسانه ومن آذان الناس وللكن الماء لم يفعل شيئاً ، ولا الزوجة فعلت شيئاً . إنها بقيت رمزاً لضيق أفق الزوجة وتعاسة الفلاسفة والعلماء حتى عثت زوجة مقراط مرة أخرى في ثباب زوحتك !

ولوكان عندنا في القاهرة بعض هذه الأمكنة جعلنا القاهرة في المقام الثاني بعد الكعبة إ...

قالناس هنا فى القاهرة بتراحمون على قبر الحسين وقبر السيدة زينب ، ونحن نعلم أنهما لم يدفنا فى القاهرة ـ ولكن لو قال أحد ما أقول فلن يصدقه أحد ..

ولكنى مع ذلك لا أرى ضرراً فى زيارة هذه الأمكنة وغيرها ما دامت تربح الناس . فالراحة شيء عسير المنال ! . .

وليس هذا شيئاً كثيراً في جانب من قصة حياة يتيم عبقرى بعد شهر من ولادته مات أبوه في المدينة . وبعد ست سنوات ماتت أمه في مكة . وبعد ثلاث سنوات مات حده عبد المطلب . ثم جاءت سيرته الكرتية وأخلاقياته الفريدة فجعنته يتيا مرة رابعة . الناس على شكل وهو على شاكلة أخرى . .

وترقع عن الناس وارتفع ومازال يعلو ، جبل حراء ، ويستقر في غاره وينتظر حتى جاءته السماء بكل ما قيها من نور وحكمة لهداية كل الناس .

كأن الأرضى ارتفعت فأصبحت جبلا . .

الجبل لما ارتفع بالرسول ، فإن الرسون قد ارتفع به ,. كأن الغار حصن من حجر ،

كأنه ورحم، الكون كله .. والرسول وليد السماء والأرض .. أو هدية السماء إلى الأرض ..

وسواء بنى الغار مفتوحاً أو مسدوداً فى وجه الهواء أو الشمس أو الناس .. فالمعنى أبنى والمكان أشرف والعناء المتواضع جدا يساوى أضعافه من المعانى الإنسانية ..

لاشيء يغير من معنى المكان وصاحب المكان ..

وقديماً احترقت الكعبة والهدمت مرتين .. وبقيت الكعبة بمبناها ومعناها ... وبعد ذلك أحرق المسجد السوى مرتين .. ونهدم وجاءت صواعق السماء

تحوله تحت الأمطار إلى ركام .. ولكن بق المكان وصاحب المسجد وصاحب القبر . رسول الله وإلى جواره أبو بكر وعمر ..

وليلة من سنة ٧٥٧ هـ صحا السلطان بور الدين زنكي من نومه في حالة من الفزع فقد رأى رسول الله في نومه يشير إلى اثنين من الغرباء ويقول له اتجابل ! . . انقذفي من هذين !

رسول الله يقولها لسلطان ١٢

وروى السلطان على حاشيته ما رأى .

وسأفه ما العمل؟

قالوا - تَدَهَب إِنَّى المَدْيَّةُ الْمُنْوَرَةَ . .

وسافروا وطلب السلطان من حاكم المدينة أن يأتيه بأسماء سكانها جميعاً . وأن يدعوهم لتحية السلطان ووقف السلطان يتقحص وجوه المناس حتى لم يبق أحد . وسأل السلطان : ألم يبق في المدينة أحد لم أره ؟ قالوا : بل هناك رحلان عريبان من أطيب الناس حلقاً وأكرمهم وأرحمهم . إنهما يتصدقان على الناس . وإنهما يصليان الليل والمهار!

وطلب السلطان أن يأتوا بهها . وجاءوا بهها . ووحد السلطان أنهها اللذان رقع وطلب السلطان أن يأتوا بهها . وفتش بيتهها . فوجد على الأرص بسلطاً . وفع البساط فوحد تحته سرداراً طويلا . واعترف الرجلان أنهها كافران من المغرب وأمها نقاضيا مبلغاً كبيراً من المال ليخطفا جئة الرسول . وضبح الناس . وحوكم الرجلان وأعدما .

وأمر السلطان بأن يحاط قبر الرسول بجدران من الرصاص حتى لا تمتد إليه يد شريرة . .

وشاء الله أن مجمى رسوله حيا ومبتاً . وأن يبقى المبادئ الرفيعة لتكون كل مدينة مبورة وكل سبرة له عطرة ، وكل طريق إليه ومنه إلى خير وسلام الناس ـــآمين

المجستوكيات

الصفحا	
٥	أيام في الأراضي المقدسة
	أريد ولكني لاأستطبع
	خطوة قصيرة في طريق طويل
**	وناب الشمع الذي وضعته في ألملي
19	من يعيد حداً تأتى مياه الأمطار والأنهار
41	صورة رسمتها وعشت عليها قد غيرنها
	صفاء عقل وانشراح صدر ووضوح رؤية
141	كان بعبداً عن الناس وأسمى منهم
150	ثانى النَّبَىٰ (دُهما في الغاز المنان النَّبَى النَّبِينِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

:: سعر الليل :: ليلاس :: www.liilas.com/vb3



رقم الأصاع ١٩٥٠ م. . ٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٨ ـ ٧٧٠